



ابن الشيطان

Looloo

www.dvd4arab.com

١ - منذ الأزل ..

في ركن مُنسى مهمل ، من كتب الأساطير ..
في جانب مظلم مُبهم ، في عقول البشر ..
بحروف دقيقة مرتجفة ..
بدأت هذه الأسطورة ..
أسطورة (ابن الشيطان) ..
ومنذ الأزل ، راح البشر يرددونها في خوف ..
ومنذ الأزل ، كانوا يرتجفون لذكر اسمه ..
(بعزبول الصغير) .. (لوسيفر الابن) .. (عين
إبليس) .. كلها أسماء ترمز إليه (*) ..
وكلها تغني الشر ..
والجحيم ..
لا أحد يدري متى بدأت تلك الأسطورة ..

(*) (بعزبول) ، و (لوسيفر) ، و (إبليس) : كلها أسماء ترمز
إلى الشيطان ، في معظم لغات العالم .



سلوى



نور الدين



محمود



رمزي

لا أحد يدري من كان أول من ردّدها ..
بل لا أحد يدري — حتى بالنسبة للمتخصّصين — أين نجد
تفاصيلها ..

إنها كغيرها من الأساطير ..

نصف معروفة ..

نصف مجهولة ..

غامضة ..

مظلمة ..

مخيفة ..

وهي كغيرها من الأساطير ..

فيها قُبس من الحقيقة ..

لحمة من النار ، وسط فيض من الدخان ..

لحمية مُرعبة ..

ومنشأ الأسطورة يعود إلى آلاف السنين ..

إلى بدايات الخلق الأولى ..

بعد أن انحسرت المعركة، وهبط (آدم) و(حواء) إلى الأرض ..

وانتشر نسلهما ..

وساد البشر كوكبهم ..

وربح الشيطان معركة مع (قايل) ، ودفعه إلى قتل
شقيقه (هابيل) ، أول شهيد في التاريخ .

ونجح مع عشرات غيره ..

وانتصر في عدة مواقع ، في قلوب البشر ..

واندحر في أضعاف أضعافها ..

وذات يوم ، من أيام القدر ، اختلى الشيطان بنفسه ،

يسترجع تفاصيل معركته مع بني (آدم) ، ويستعرض قوته

وقوتهم ..

ويومها ، لاحظ الشيطان أنه الأضعف ..

ما زال يجهل الكثير عن بني البشر ..

صحيح أنهم يستجيبون لوسوساته ، وقد يدفعهم إلى

الرذيلة والمعصية ..

ولكن شيئاً ما في أعماقهم كان يقاومه ..

وأحياناً يهزمه ..

هم أنفسهم يجهلون طبيعة هذا الشيء ..

أحياناً يطلقون عليه اسم (الضمير) ..

وأحياناً أخرى يسمونه (المبادئ) ..

وأحياناً يقولون إنه (الأخلاق) ، أو (حسن المنشأ) ..

ولكنه في كل الأحيان مجهول ..

كل علماء البشر لم يجدوا له أثرا ، طوال دراستهم للجسم
البشرى ..

لم يجدوا له قانونا ..

ولكنه — للعجب — أقوى أسلحتهم ..

وفي اهتمام شديد ، راح الشيطان يفكر ويبحث عن
وسيلة ؛ لمعرفة ذلك السلاح ، وكشف سره ..
وفجأة ، تفتق عقله عن حطة مخيفة ..
حطة شيطانية ..

وعلى الفور ، ودون إضاعة لحظة واحدة ، على الرغم من
عمره الممتد إلى ما لانهاية ، شرع في تنفيذ حطته ..

وانتقى الشيطان ، من بين بنى البشر ، حسناء فاتنة ..

وفي أبهى حلة ، وأحسن صورة ، التقى بها ..

وأحبته ..

وتزوجها ..

ولم تدرك المسكينة أنها قد تزوجت شيطانا ..

لم تدرك غرابة الأمر ، إلا عندما لم يستغرق حملها منه سوى

شهر واحد .

وبعدها أنجبت ابنه ..

(ابن الشيطان) ..

وأدركت البشرية المسكينة هول الموقف ، وفداحة
المأساة ..

وراحت تذبل وتنهار ..

وراح (ابن الشيطان) ينمو وينمو ..

ولم يمض عام واحد ، حتى صار (بعزبول الصغير) شابا
وسيمًا ، جميل الطلعة ..

كان له جمال أفعى سامة ..

وكانت له عينان من نار ..

وذات يوم ، رأت ابنة البشر ابنها ، وهو يركع أمام أبيه ..

ورأت ، وهي ترتعد رُعبًا ومرارة ، الشيطان يدفع يده

في صدر ابنه ، ويتزع قلبه ، ثم يفسله في مزيج مخيف ..

مزيج من الظلام والخيانة ، والخديعة ، والقسوة ،

والشر ، والبغضاء ..

مزيج الشر ..

وشهقت الأم الملتاعة ..

وكانت شهقتها الأخيرة ..

ماتت المسكينة ، وهى تستغفر ربها ، وتبكي ذنباً لم
ترتكبه ، ولم تدركه ..

وارتاح الشيطان إلى أن مهمته على الأرض قد انتهت ..
وعاد إلى أرضه ..

وترك لنا ابنه على أرضنا ..

ونشأت الأسطورة ..

وعلى الرغم من كون (ابن الشيطان) شبه خالد ..

وعلى الرغم من عمره غير المحدود ..

كانت له نقطة ضعف ..

نقطة واحدة ..

وعبر الأجيال والعصور ، ظل (ابن الشيطان) شاباً وسيماً

قوياً ، يذر الشر ، ويحصد الدماء والمرارة من حوله ..

وعبر الزمن تصدى له المؤمنون ..

وهزموه ..

ولكنه كان كالعنقاء (*)

(*) العنقاء : طائر خرافى ، قال عنه العرب قديماً إنه أضخم الطيور
المعروفة على وجه البسيطة ، وأشرسها ، وأنه خالد أبد الدهر ، لا تقتله
إلا النيران ، وحتى بعد موته ، يمكنه أن ينهض من رماده ، ويعود حياً

لا يلبث أن ينهض من وسط رماده ..

ويعاود القتال ..

هكذا تقول الأسطورة ..

وهكذا تبدأ قصتنا ..



٢ - عودة الشيطان ..

دار العمل على قدم وساق ، في تلك المنطقة الصحراوية ،
المتاخمة لـ (القاهرة) الجديدة ، لإنشاء موقع جديد ، من
مواقع البحث عن خام البترول ، وهتف مهندس الموقع ،
وهو يتسم في سعادة :

— رائع يا رجال .. سينتهي العمل هنا ، قبل موعد المقرّر
بأسبوع كامل

تهللت أسارير الرجال ، وغمغم أحدهم :

— لاتنس أنك تدفعنا للعمل بأضعاف طاقتنا يا سيدي .
رُبّت مهندس الموقع على ظهره ، وهو يضحك قائلاً في

مرح

— اطمئن .. ستتناسب مكافأة الإنتاج مع ذلك .

ابتسم الرجل ، وهزّ رأسه ، وهو ينصرف مبتعداً ، على
حين اقترب عامل آخر من المهندس ، وناولَه قرصاً معدنياً
صغيراً ، وهو يقول :

— سيدي .. لقد عثرنا على هذا ، في أثناء الحفر .

تناول المهندس القرص الصغير ، وقلّبه بين أصابعه
يفحصه في دهشة واهتمام ، قبل أن يغمغم في خيرة :

... ما هذا ؟

قال العامل في بلادة :

— يبدو أنها عملقة أثرية ، أو شيء من هذا القليل
يا سيدي ، فلك النقوش عليها عجيبة

تطلّع المهندس إلى تلك النقوش العجيبة في خيرة .
كانت متشابكة ، ومعقدة إلى أقصى حد .

ومخيفة ..

أشياء ما فيها ، أو في ذلك القرص ، جعلها تبدو مخيفة .
ولسبب ما ، ، لم يدر كنهه ، بدت له تلك النقوش
مألوفة .

كان واثقاً من أنه لم يرَ شيئاً لها من قبل ..

ولكنها بدت مألوقة .

تناقض عجيب ، ضاعف من طاقة الخوف في أعماقه ..
خوف مُبْهِم عجيب

خوف جعل كل خلية من خلاياه ترتجف ..

وبحركة حادة ، أشاح بوجهه عن القرص ، وكأنه يخشى
رؤيته ، وقال في توثر :

— لو أنها عملة أثرية ، فمن الأفضل أن نخفي أمرها تمامًا ،
والأسمى رجال الآثار جاهدين ، لإيقاف العمل في الموقع ،
بحجة حماية الآثار ، على حين قد تكون تلك العملة مجرد قرش
سقط من ثقب صغير ، في جيب أحد الأقدمين ..

ضحك العامل ، وهو يقول :

— نعم يا سيدي .. أنت على حق .

قالها العامل في بساطة ، وانصرف ..

وبقى المهندس (يحيى) وحده ..

مع القرص ..

ومرة أخرى راح يتطلع إلى النقوش ..

ومرة أخرى ارتجف ..

ارتجف من قمة رأسه ، حتى أخمص قدميه ..

ودس القرص في جيبه ، وهو يتمم في توثر :

— لست أدري ما أنت ، ولكنك شيء بشع .. بشع

حنًا ..

وعاد يواصل عمله في انهماك ..

أو هو تظاهر بذلك ..

نسى المهندس (يحيى) أمر القرص حقًا ..

مع انهماكه في العمل ، وشغفه بوضع اللّمسات الأخيرة

له ، غاب عن ذهنه أمر القرص تمامًا ..

والدليل على ذلك هو أنه كان شديد المرح ، وهو يغادر

الموقع في المساء ، ويستقل سيارته الصاروخية إلى منزله ..

وهناك ، في منزله ، تذكر القرص مرة أخرى ..

كان يفرغ جيوبه من محتوياتها ، عندما رآه ..

وبتوثر بالغ ، أمسك (يحيى) القرص ، وعاد يتأمله في

دهشة وخيرة ..

كانت تلك النقوش تبدو له الآن أشد وضوحًا ..

وتساءل في صوت مسموع :

— ما تلك النقوش ؟ .. ترى أهي رسم قديم ؟ .. أم رمز

بدائي ؟ .. أهي شعار ملكي ، أم شعار ديني ؟ .. أم .. ؟

بتر عبارته ، عند النقطة الأخيرة ، وهتف في حدة :

— أم لغة قديمة .

اتسعت عيناه في انفعال ، وهو يحدّق في النقوش ..

نعم .. إنها كلمات ..

كلمات بدائية قديمة ..

كلمات بلغة تعود إلى بدء الخليقة ..

إلى ما قبل اللغة المسمارية (*) ..

إلى الأزل ..

وفجأة ، وبلا مقدمات ، بدت له تلك الكلمات

معروفة ، مقروءة ..

ودون أن يشعر ، أحاط به ظلام دامس ..

ظلام مخيف ..

مرعب ..

وانطلقت من حوله ضحكة مخيفة ..

ضحكة لم يسمعها ..

ودون وعي ، وفي حالة أشبه بالغيوبة ، أو بالتسويم

المغناطيسي ، قرأ (*) النقوش الشيطانية ..

(*) اللغة المسمارية : لغة قديمة ، يعدها العلماء من أقدم لغات العالم ،

هي واللغة السنسكريتية ، وفي المسمارية كانت كل الحروف والكلمات

أشبه بمسامير متراصة ، ومن هنا جاء اسمها .

نطقها على نحو لا شبيه له ..

وانتفضت الدنيا ..

وانتفض هو ..

وارتجف كل شيء من حوله ..

ثم ظهر أمامه ذلك الشيء ..

كتلة من جحيم لا يوصف ..

ظلام ورُعب وآلام وكراهية ..

كل شرور الدنيا تجسّدت في كتلة واحدة ..

ثم تحوّلت إلى شاب وسيم ..

شاب بالغ الوسامة والأناقة ..

شاب يتسم ..

والتصق (يحبى) بالحائط في رُعب ، وراح يحدّق في وجه

الشاب ..

وفي ابتسامته رأى الموت ..

وفي عينيه بدا الجحيم ..

وبصوّت عميق مُخيف ، ولهجة أشبه بصدى الزّمن ، قال

الشاب :

— لقد عُذت ..
ودوّى قصف الرعد في السماء ..
لقد عاد ..
عاد (ابن الشيطان) ..



كل شرور الدنيا تجسدت في كتلة واحدة .. ثم تحولت إلى شاب وسيم

٣- الأجيال ..

تطلّع (نور) في خيرة ، إلى ذلك الممر الممتد أمامه ، في منزل جدّه القديم ، في ذلك الحى الشعبى من أحياء (القاهرة) القديمة ..

كان الممر مظلمًا ، مخيفًا ، ولكن كان عليه حتمًا أن يغيره ..

لم يدر لماذا ، ولا ما الذى ينتظره في نهايته ، ولكنه كان موفقًا ، لسبب ما ، من أن عبور ذلك الممر أمر خيى .. وعبره (نور) ..

ولخيل إليه - وهو يغيره - أنه يطير ، فلا يمس الأرض .. أو أنه يسير فوق مخمل حريرى ناعم .. وفي نهاية الممر ، رأى حجرة مغلقة .. وفتحها ..

فتحها في لهفة ، وكأنها ينتظره داخلها مجد الدنيا كله .. وكانت الحجرة خالية ، إلا من لوحة صغيرة فوق الجدار المواجه للباب ..

وبآلية تامة ..

وبقيادة عامل مجهول ، اتجه (نور) نحو اللوحة ، ورفعها من مكانها ، والتقط من خلفها ورقة مطوية ..

وفجأة ، دوى ذلك الصوت .. صوت هادئ ، عميق ، حنون ، قال :
- أخذها يا ولدى ..

التفت (نور) إلى مصدر الصوت في دهشة ، وحذق في وجه صاحبه الكهل ، الذى استطرد في عمق :
- أخذها يا ولدى .. ففيها خلاصك ..

تراجع (نور) في دهشة ، وهو يهتف :
- ولكن هذا مستحيل !!! .. مستحيل !!! لا يمكنك أن تلتقى بى في هذا العالم ..

ابتسم الكهل ، وهو يقول في حنان :
- لسنا في عالمك الآن يا (نور) .. أنت وأنا الآن في عالمى ..

هتف (نور) في توثر :
- كلاً .. عالمك يختلف عن هذا العالم .. عالمك أبدي ، وهذا مؤقت ..

أجاب الكهل في هدوء :

— هذا العالم فجوة بين عالمك ، وعالمي يا ولدى .. فجوة
دائمة ..

هتف (نور) :

— ولكن هذا مستحيل .. مستحيل !!

سأله الكهل في حنان :

— لماذا يا ولدى ؟ .. لماذا ؟

اختفت الكلمة في حلق (نور) لحظات ، قبل أن يهتف
بأقصى ما يملك من قوة :

— لأنك مَيّت يا جدّى .. مَيّت .. مَيّت .. مَيّت ..

شعر يده تدفعه في قوة ، وسط الظلام الذي يحيط به ،
ورأى جده ينظر إليه ويتسم ، وسمع من يردد اسمه من بعيد ،
فواصل في هياج :

— أنت مَيّت .. مَيّت ..

وفجأة ، دوى اسمه في أذنيه :

— (نور) .. (نور) .. استيقظ ..

واستيقظ ..

كان كابوساً عجيباً ، استيقظ منه ، ليجد زوجته
(سلوى) إلى جواره ، تتطلع إليه في قلق ، وهي تسأله في
حنان :

— ماذا هناك ؟ أهو كابوس ؟

تطلع إليها لحظات في خيرة ، ثم زفر في غمق ، واعتدل
جالساً على طرف الفراش ، وغمغم في توثر :

— نعم .. كابوس عجيب .. لقد رأيت نفسي في منزل
جدّى القديم ، وقوة مجهولة تدفعني إلى حجرة مكتبه ، التي
بدت لي خالية ، بخلاف المعتاد ، ورأيت جدّى يدفعني
للحصول على ورقة مطوية ، تخفى خلف إطار صورة
أنيقة ..

قاطعه هاتفة في دهشة :

— رأيت جدّك الراحل ؟

أوما برأسه إيجاباً ، وغمغم في توثر :

— نعم .. رأيت جدّى الراحل ..

ارتجفت في خوف ، وغمغمت :

— (نور) .. ما الذي جعلك تتذكر جدّك الراحل الآن ؟

هز رأسه في خيرة ، وهو يغمغم :

— لست أدري .. لقد بدت لي صورته واضحة تمامًا ، كما
بدت لي من قبل ، عندما كنا نواجه حارس الأرواح المختال (*)
سرت في جسدها ارتجافة قوية ، وهي تغمغم :

— يا إلهي !!

تطلع إليها بنظرة خاوية ، لم تستشف منها شيئًا ، ثم نهض من
فراشه ، ووقف أمام النافذة لحظات في صمت ، قبل أن
يقول :

— أتعلمين يا (سلوى) ؟!

غمغمت في قلبي :

— ماذا أعلم ؟

صمت لحظات قصارًا ، ثم قال :

— أظن ما رأيته لم يكن حلمًا .

جعلها قوله تتنفض خوفًا ، وهي تسأله في خفوت :

— ما هو إذن ؟

التفت إليها ، وهو يقول في حزم :

(*) راجع قصة (حارس الأرواح) .. المغامرة رقم (٣٣) .

— رسالة .

شحب وجهها ، وهي تغمغم :

— رسالة من جدك .

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

— نعم .. من روح جدي .

ثم اعتدل ، وأضاف في حزم :

— رسالة تطلب مني الذهاب إلى هناك .. إلى منزله

القديم .

ازدردت لأعابها في صعوبة ، وغمغمت في توتر :

— (نور) .. أنت تعلم أن أحدا لم يذهب إلى منزل جدك ،

منذ ثلاثة أعوام على الأقل .. ثم إنه من غير المنطقي أن تؤمن بما

تقول .. إنه مجرد كابوس .

شرد بصره لحظات ، قبل أن يقول في عمق :

— هناك أشياء كثيرة ، لم أكن أؤمن بها من قبل

يا (سلوى) ، ثم أثبتت لنا حياتنا المعقدة أنها حقائق .

ازدردت لأعابها مرة أخرى في صعوبة ، قبل أن تسأله :

— وماذا تنوي أن تفعل ؟

التفت إليها ، وهو يقول في حزم :

— سأذهب إلى هناك .

ثم عاد يتطلع من النافذة ، مردفاً :

— إلى حيث ترك لي جدّى رسالته ..

توقفت سيارة (نور) الصاروخية ، مع الضوء الأول
لشروق الشمس ، أمام منزل قديم من طابقين ، يبدو شديد
التهاك والعراقة ، ببوابته المعدنية التي أكلها الصدأ ، وذلك
الفناء الزرّي ، الذي كان فيما مضى حديقة غناء ..

وكان المنزل ينضّ وخذه ، على حافة طريق أسفلتي قديم ،
دون أن تجاوره أية منازل أخرى ، حتى أنه بدا له (سلوى)
مخيفاً ، مع ظلال الشروق الممتدة ، فغمغمت في توثر :

— لست أدري لماذا أصررت على قدومنا إلى هنا ، في مثل
هذا الوقت المبكر يا (نور) !!... أما زلت تؤمن بقضايا
الأرواح هذه ؟

سألها في هدوء :

— أما زلت لا تؤمنين بها يا عزيزتي ؟

هزّت كتفها ، وزفرت في قوة ، وهي تتبعه إلى خارج
السيارة مستلّمة ، ثم تلتصق به في خوف ، وهما يتجهان إلى
المنزل القديم ..

وارتحف جسدها الضئيل ، وسرت في أوصالها ارتجافة
قويّة ، مع ذلك الصرير الخفيف ، الذي انبعث من مفصلات
الباب القديم ، وعادت تغمغم في مزيج من التوثر :

— ياله من إصرار ؟

أضاء (نور) زهقة المنزل ، وقادها نحو ذلك السلم ،
الذي يصعد إلى الطابق العلوي ، وهو يقول في هدوء :

— لن يستغرق الأمر طويلاً يا عزيزتي .. سنحصل على
تلك الورقة ، ونعود أدراجنا على الفور .

غمغمت في خنق :

— أتعشّم ذلك .

صعدا معاً إلى الطابق العلوي ، وأشار (نور) إلى الممر
الممتد أمامه ، قائلاً في انفعال واضح :

— ها هو ذا الممر .. سجد الحجرة المشوذة في نهايته ، كما
جاء في الحلم .

تمتعت في جدّة :

— هراء .

تابعا سيرهما عبر الممر المظلم ، حتى بلغا الحجرة ، فدفع
(نور) بابها ، وهو يقول :

— المفروض أن نجد لها خالية ، إلا من لوحة واحدة ، على
الجدار المقابل .

ولكن الباب لم يُفتح ، على الرغم من قوة دفع (نور) ،
فتراجع خطوة إلى الخلف ، وقال له (سلوى) في حزم :
— لا تجزعى .

ودفع كتفه في منتصف الباب بكل قواه ، فالتفتح في
عنف ، وارتطم بالحائط المثبت فيه ، على حين شهقت
(سلوى) في دهشة ، وهي تهتف :

— يا إلهي ...! الخُلم !؟

وقف (نور) مبهورًا مشدوها ، يحدق في الحجرة الخالية
العارية ، إلا من تلك اللوحة ، المعلقة على الجدار المواجه
تمامًا ، وأدهشه في شدة أن تلك الحجرة كانت نظيفة إلى حد
ملفت للنظر ، لا أثر فيها لذرة غبار واحدة ، على الرغم من
أكوام الغبار ، التي تغطي كل ركن آخر في المنزل ..
وهتفت (سلوى) في توثر :

— كيف بقيت تلك الحجرة هكذا ؟

أشار (نور) إلى النوافذ المغلقة في إحكام ، وغمغم :
— يبدو أن هذا يعود إلى إحكام إغلاقها ، أو

لم يجد تفسيرًا آخر ، فاكفى بهذا القول ، وتعلق بصره
بركن محترق ، في نفس اللحظة ، التي هتفت فيها (سلوى) :
— ماذا أصاب ذلك الركن ؟

اقترب (نور) منه ، ونحسسه في اهتمام ، ثم تطلع إلى
أصابعه في خيرة ، وهو يغمغم :

— لقد احترق لسبب ما .. أو بسبب ما ..

ثم أدار عينيه إلى اللوحة في حركة حادة ، مستطرذا :
— أو هي الرسالة .

لم تفهم (سلوى) ما يعنيه ..

ولم تسأله عنه ..

الواقع أنه لم يمنحها الوقت لذلك ، لقد أسرع نحو اللوحة ،
وأزاح إطارها في حركة حادة ، فسقطت من خلفه ورقة
مطوية ، أسرع (نور) يلتقطها في انفعال ، ثم أدار عينيه إلى
(سلوى) ، التي وقفت شاحبة ممتعة ، وهتف في انفعال
شديد :

— أما زلت لا تؤمنين يا (سلوى) ؟

تمتمت في خوف :

— إنما هو حلم ..

هتف في ثقة :

— بل رسالة .. رسالة من عالم الأرواح ..

وأدار عينيه فيما حوله ، قبل أن يستطرد في حزم :

— رسالة غير الأجيال ..



فسقطت من خلفه ورقة مطوية ، أسرع (نور) يلتقطها في انفعال

٤ - الرسالة ..

تنهدت (سلوى) في ارتياح ، وهي تجعد لزوجها
(نور) قدحاً من الشاي ، في مطبخ منزلها ، وراحت تتطلع
إلى الجدران النظيفة المألوفة في سعادة وامتنان ، وكأنها كانت
تتصور أنهما لن يعودا إلى منزلها أبداً ..

وعندما حملت القدح إلى (نور) ، استوقفها مظهره ،
وهو بفوح في مقعد هوائي وثير ، محذقاً في ذلك القرص ذي
النقوش العجيبة ، المرسوم وسط الورقة ، وأسفله تلك العبارة
الفامضة : « النار وحدها تفضل الشرور » ..

ولم تكد تضع القدح أمامه ، حتى رفع (نور) عينيه إليها ،
وغمغم في شرود :

— شكراً .

هزت رأسها تفهماً ، وجلست أمامه ، وهي تغمغم في
قلق :

— إنه مجرد نقش .. أليس كذلك ؟

هز كفيه في خيرة ، وعاد يتطلع إلى رسم القرص ،
متمتماً :

— ربما .

ثم اعتدل في مجلسه ، وعقد حاجبيه في اهتمام ، وهو
يستطرد :

— ولكن ما الذي تعنيه تلك النقوش ؟

تنهدت في عمق ، وألقت نظرة سريعة على تلك النقوش ،
التي تثير في أعماقها قشعريرة مبهمه ، ثم أشاحت بوجهها ،
وهي تحيب :

— لست أدري .. لعلها رمز لديانة بائدة ، أو شعار
لإمبراطورية قديمة ، أو

قاطعها مكماً :

— أو لغة .

تطلعت إليه في دهشة ، وهي تغمغم :

— لغة ؟! .. أي استتاج هذا ؟

هز كفيه ، وهو يقول :

— إنه مجرد افراض .

وجدت نفسها مشدودة إلى النقش ، وهي تغمغم في قلق :

— لفة ١٢

ثم رفعت عينيها إلى (نور) ، مستطردة في توثر :

— أتريد رأيي ؟

أجابها في هدوء وجدية :

— بالتأكيد .

لوحث بكفها ، هاتفة :

ألق هذا الرسم بعيدا .. أحرق الورقة كلها ، ودعنا نعيش

في سلام .

هتف في استكار :

— أحرقها ١٢

ثم لوح بالورقة في وجهها ، مستطرذا :

— إنها ليست مجرد ورقة يا (سلوى) .. إنها رسالة باللغة

الالهية ، قد تكون فيها نجاتنا من خطر قادم .

صاحت في جدّة :

— أي خطر ١٢ .. إن هذا مجرد حلم يا (نور) .. لن

تقننى أبدا بأنها رسالة من عالم الأرواح .

سألها في هدوء :

— ولكننا وجدنا الرسالة في نفس المكان .. أليس كذلك ؟

هبت واقفة ، وهي تهف :

— ربّما رأيت جدّك يضعها هناك ، وأنت بعد طفيل

صغير ، وانطبع ذلك في عقلك الباطن .

مطّ شفتيه ، قائلاً :

— ربّما ، ولكن لماذا أتذكّرها الآن ؟ .. أتعلمين متى تُوفّي

جدّي ، (رحمه الله) ؟

صاحت متوتّرة :

— ربّما استشار شيء ما عقلك .. مشهد مشابه ، أو قول ..

أو فعل .

هزّ كفيه ، مغممًا :

— ربّما .

ثم نهض ، مستطرذا في حزم :

— ولكن الأمر يحتاج إلى استشارة شخص أكثر خبرة ،

وأكثر اهتمامًا بالظواهر الخارقة ، وفوق الطبيعية .

هتفت في توثر :

— إلى أين ؟ .. ألن تناول الشاي ؟

أجابها في حزم :

— فيما بعد يا عزيزي .. فيما بعد .. أمّا الآن ، فسأذهب
إلى ذلك الخير .

واتجه نحو الباب ، وهو يستطرد في حسم :

— إلى الدكتور (محمد حجازي) ..

قفز الصحفي الشاب (صفوت) درجات السلم
القصيرة ، في مدخل الفندق الفاخر ، في قلب (القاهرة) ،
وعبر بابه البلوري في خطوات حماسية رشيقة ، وتوقف أمام
مائدة زجاجية مستديرة ، في مدخل الفندق ، وابتسم ابتسامة
صفراء ، في وجه الجالس أمامها ، وهو يقول :

— صباح الخير يا (مراد) بك .

غمغم الرجل في هدوء :

— صباح الخير يا أستاذ (صفوت) .

جلس (صفوت) على المائدة في حسم ، وأخرج من جيبه
مكعبًا صغيرًا ، ضغط طرفه ، وهو يقول في تخابث :

— معذرة .. إنني أكره وسائل التفتت .

غمغم (مراد) في هدوء :

— لا بأس .

مال (صفوت) نحوه ، وقال في مَرَح ساخر :

— قل لي .. هل أحضرت المبلغ ؟

أشار (مراد) إلى حقيبة مجاورة ، وهو يقول :

— كله .. ولكن ينبغي أن توقف تلك الحملة الصحفية على

الفور .

هتف (صفوت) في مَرَح :

— بالطبع ..

حمل (مراد) الحقيبة ، وناولها له (صفوت) ، قائلاً له

حزم :

— خذ .. مليون جنيه .. كلها لك .

تألفت عينا (صفوت) في جشع واضح ، واحتضن

الحقيبة في لفة ، وهو يهتف :

— ستوقف الحملة على الفور ، و

قاطعه صوت صارم يقول :

— وماذا أيها الحقير ؟

امتقع وجه (صفوت) ، والتفت إلى مصدر الصوت في

حدة ، فرأى أمامه رجل شرطة ، يصحبه عدد من محرري

جريدة (أبناء القيد) ، وعلى رأسهم (مشيرة محفوظ) ،

التي هتفت في ازدراء :

— يالك من حقير !! المرتشون أمثالك لا يستحقون
العمل في مجال شريف كالصحافة .

امتقع وجه (صفوت) في شدة ، وهو يقول :
— أي مرتشين ؟ .. لقد كنت أخدعه ، لأثبت أنه غير
أمين ، و

قاطع في حدة :
— وماذا ؟ .. لافائدة من الكذب أيها الحقير .. لقد
سجلنا كل شيء بالصوت والصورة .
هتف في حدة :

— متحيل .. ذلك المكثب ..
تبه فجأة إلى أن اعترضه سيحوي اعترافاً ضمناً بجرمه ،
فأطبق شففيه دفعة واحدة ، على حين أكملت (مشيرة) في
غضب :

— إنه يحيطك بمجال كهرومغناطيسي خفي .. أليس
كذلك ؟ .. إنا نعلم ذلك أيها الوغد .. وكنا نتوقع أن تلجأ
إليه ؛ لذا فقد زودنا المائدة بمجال عكسي ، وبهذه الوسيلة
التقطنا لك فيلمًا كاملاً ، بإذن النيابة ، يثبت جرمك ،
وسيفني هذا فصلك من الجريدة .

انكمش في مقعده في توثر ، على حين أضاف رجل الشرطة
في صرامة :

— والسجن لخمس سنوات على الأقل ، بتهمة تقاضي
رشوة ، و

قبل أن يتم عبارته ، قفز (صفوت) من مقعده صارخاً :
— كلاً .. لن يحدث هذا أبداً .

وفجأة ، هوى على فك رجل الشرطة بلكمة قوية ،
أزاحت الرجل بعيداً ، ودفع أحد رفاق جريدته عن طريقه ،
صارخاً :

— اتركوني .

ثم اندفع نحو باب الفندق البلوري ، وقفز محطماً واجهته
السميكة ، ومتجاوزاً إيها إلى الخارج ، وسط صراخ رؤاد
الفندق ، وانطلق يعدو مبتعداً ، ورجل الشرطة يهتف من
خلفه :

— أمسكوا هذا الرجل .. أوقفوه .

ولكن (صفوت) عبر الحاجز القصير ، الذي يفصله عن
الطريق ، وانطلق مبتعداً ، وانحرف في طريق جانبي ، وهو
يلهث في خوف وتعب وتوثر ..

وفجأة ، تسمرت قدماه ، وحقق قلبه في قوة وتوثر ..

لقد وجد أمامه فجأة شابًا وسيفًا ..

وكان الشاب أنيقًا ، جميل الحيا ، ولكن شيئًا ما في هيئته ،

أثار رُعب (صفوت) وتوثره ..

ومضت لحظات صامتة تمامًا ، و (صفوت) يحدق في

عيني الشاب الناريين في رُعب .. قبل أن يغمغم في صوت

مخفق ، تجاوز حلقه في صعوبة بالغة :

— ابتعد .. ابتعد عن طريقى .

سأله الشاب في صوت هادئ ، أثار في نفسه رُعبًا

لا حدود له :

— إلى أين ؟

ارتجف في شدة ، وبات على شفا لحظة واحدة ، من

الانفجار يكاء حار ، وهو يتمم :

— لا بد أن .. لا بد أن

لم يستطع إتمام عبارته أبدًا ..

كانت عينا الشاب الناريان تسللان إلى أعماق أعماقه ،

وتحطمان إرادته تحطيمًا ..

وبصوت بدا وكأنه يأتي من أعماق أعماق الجحيم ، تحدث
الشاب ..

وفي هدوء مثير مخيف ، قال :

— إنك لن تذهب إلى أى مكان .. لن تذهب .

لحظتها أيقن (صفوت) — دون أن يدري سببًا لذلك —

أنه لن يذهب حقًا ..

لن يذهب أبدًا ..

استقبل الدكتور (حجازى) (نور) بابتسامة واسعة ،

وربت على كفه في حرارة ، وهو يقول :

— مرحبًا يا (نور) .. مرحبًا يا ولدى .. كم يسعدنى

دومًا أن أراك ، وأن أجالسك .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

— أنا أيضًا يسعدنى دومًا أن أراك وأن أجالسك

يا سيدي .

مضت بضع دقائق ، وهما يتبادلان التحية والحديث

الحار ، قبل أن يعتدل الدكتور (حجازى) في مجلسه ،

ويقول :

— والآن يا (نور) ، ما الذى دفعك لزيارتي ، فى مثل هذا الوقت ؟

ابتسم (نور) فى خجل ، وقال :

— الواقع هو أننى ، إلى جوار رغبتى فى مجالستك ، أحتاج إلى خبرتك الواسعة ، وتعمُّقك فى دراسات ما فوق الطبيعيات يا دكتور (حجازى) .

بدا وكأن هذا قد جذب انتباه الدكتور (حجازى) فى شدّة ، فلقد عقد حاجبيه ، وانتبه فى مجلسه ، وهو يقول فى انتباه بالغ :

— لماذا يا (نور) ؟

فصّ عليه (نور) القصة كلها ، منذ راوده ذلك الحلم فى منامه ، وحتى عثوره على الرسم ، فازداد انقياد حاجبى الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

— قصة عجيبة حقًا يا (نور) ، ولكنَّ جدّك (رحمه الله) كان رجلًا صالحًا مؤمنًا ، إلى الحلد الذى يجعلنى أميل إلى تصديق رسالته الروحية لك ، وإلى أهميتها وخطورتها بلا شك .

ثم مدّ يده إلى (نور) ، مستطرّدًا :

— هل لى أن أرى ذلك النقش ؟

أجابته (نور) فى حماس ، وهو يُخرج الرسم من جيبه :

— بالطبع .

تناول الدكتور (حجازى) الورقة المطوية ، وفحصها فى سرعة واهتمام ، ولم يكد يلقى نظرة على الرسم ، حتى تحيّل له (نور) أن حاجبى الطبيب الشرعى الأشهر سيقفزان إلى السقف ، وأن عينيه ستفتران من محجريهما ، من شدّة جحوظهما ، وأن رأسه كلها قد وثبت بفتة إلى الأمام ، وكادت ترتطم بالرسم ، فهتف فى توثر وانفعال :

— ماذا حدث ؟

حدّق الدكتور (حجازى) فى وجهه لحظة ، بملاحق أقرب إلى الرعب ، ثم اعتدل فى مجلسه ، وتعم فى توثر :

— يا إلهى !

عاد (نور) يكرّر سؤاله فى مزيد من الانفعال :

— ماذا حدث يا دكتور (حجازى) ؟

لم يجب الدكتور (حجازى) على الفور ، وإنما تراجع فى مقعده ، وهو يحدّق فى وجه (نور) ، قبل أن يزفر فى عمق ، ويلتقط نفسًا عميقًا ، ويقول :

— هل تعلم يا (نور) ؟... لقد انتهيت ، قبيل لحظات من وصولك ، من فحص جثة قتيل شاب .

سأله (نور) في دهشة :

— وما شأن هذا بالنقش ؟

واصل الدكتور (حجازي) ، وكأنما لم يسمع السؤال :
— وهذا القتل قد انتحر ، كما أكدت فحوص وتحريات الشرطة ، فقد وجدته خطيبته مشنوقاً في منزله ، الذي يقيم فيه وحيداً ، وكانت كل النوافذ مغلقة من الداخل ، بأقفال إلكترونية ، والباب كذلك ، مما يؤكد استحالة أن يغادر قاتله المنزل ، لو أنه مات قتيلاً ، ولكن العجيب في الأمر هو أن ذلك القتل الشاب مهندس ناجح ، انتهى في اليوم السابق لانتحاره ، من إعداد موقع جديد ، من مواقع البحث عن البترول ، وكان يتوقع ترقية ، أو مكافأة سخية ، وكان يمرُّ بحالة تفاهم تام مع أسرته ، وخطيبته ، وشديد المرح ، و.....
صمت لحظة ، وكأنما لم يجد داعياً للاستطراد ، ثم لم يلبث أن أردف في توثر :

— باختصار ، لم يكن هناك سبب واحد للانتحار .

استمع إليه (نور) ، حتى انتهى من روايته ، ثم غمغم في

خبرة :

— وما صلة ذلك بالنقش ؟

التفت إليه الدكتور (حجازي) بحركة حادة ، وهو يقول :

— صلة وثيقة .

ثم مال نحوه ، مستطرداً في توثر بالغ :

— لقد كان هناك نقش محفور على صدر المهندس (يحيى) المتحر .

وأدار الورقة في حدة ، ليواجه النقش وجه (نور) ، متابعاً في عصبية :

— هذا النقش تماماً ..



٥- الخوف ..

اندفع الصحفي (صفوت) داخل منزله ، وأغلق الباب خلفه في إحكام ، ثم التفت إلى ذلك الشاب الوسيم ، الذي جلس هادئاً ، يتسم ابتسامه بحقيقة ، وهتف بلهجة رجل متهور :

— لقد كنت على حق .. كنت على حق تماماً .. كل شيء سار كما أخبرتني .. وعلى نحو أصاب الجميع بالذهول .

اكفى الشاب بابسامته الواثقة ، على حين راح (صفوت) يلوح بذراعيه في الهواء ، مستطرذاً في انفعال :

— لقد عُدت إليهم كما أمرتني ، وتظاهرت بالذهشة ،

وهم يتهمونني بتقاضى رشوة ، ولما عرضوا ذلك الفيلم الهولوجرافي ، الذي يدينني ، أصابهم ذهول شديد ، فقد كان المشهد عادياً ، إلا من تفصيل واحد .. أنا .. لم تكن صورتي هناك على الإطلاق ، كأنما كنت رجلاً خفياً .. حتى الصوت انمحي تماماً ، وكأن لم يكن .. وعندما التقطوا البصمات ،

ورفعوا توزيع المسام عن المائدة ، كانت مختلفة عن بصماتي وتوزيع مسامي العرقية تماماً ..

غمغم الشاب في هدوء :

— بالطبع .

اقرب منه (صفوت) ، وكاد يجثوا على ركبتيه أمامه ، وهو يهتف في خوف :

— ولكن كيف فعلت ذلك ؟ .. لقد تجاوزت حتى تكنولوجيا القرن الحادي والعشرين المتطورة ..

برقت عينا الشاب ببريق غيف ، جمّد الدّم في عروق (صفوت) ، قبل أن يقول في لهجة مُرعبة :

— ما من تكنولوجيا تفوق قدراتي .. أنا وأخدي أفوق كل العصور .

ارتجف (صفوت) من قمة رأسه ، حتى أخمص قدميه ، وهو يغمغم :

— ولكن من أنت ؟ .. من ؟

خُيّل إليه أن جذران منزله قد ارتجفت ، وارتعدت ، وأن قلبه قد انتفض بين ضلوعه في رُغب هائل ، حينما أجاب ذلك الجالس أمامه ، في صوت بدا وكأنه يأتي من أعماق أعماق الأرض :

— فلتنادني باسم (بعلزبول) .. (بعلزبول الصغير) .
امتقع وجه (صفوت) ، وتراجع في رُغب هائل ، حتى
التصق بالجدار ، وهو يردد في خلع :

— ولكن اسم (بعلزبول) هذا يعني .. يعني
قاطع الشارب في صوت كالموت :
— يعني الشيطان .. نعم .. أنا ابنه .. (ابن الشيطان) ..

سَرَتْ قَشْعَرِيرَةٌ باردة وغامضة ومُخِيفَةٌ ، في جسد
(نور) ، وهو يتحسّس ذلك النقش البارز ، على صدر جثة
المهندس (يحيى) ، وارتجفت أصابعه ، على الرغم منه ، وهو
يقارنه بذلك المرسوم على تلك الورقة ، التي وجدها في منزل
جدّه ، ثم لم يلبث أن غمغم في انفعال بالغ :
— عجبًا !!

كان من حقّه أن يشعر بدهشة بالغة ، فلقد كان النقشان
مُنْتَظَمَيْنِ تمامًا ، حتى في مساحتهما ، كما لو أن خاتمًا واحدًا
صنعهما معًا ..

وفي توتر ، سأل (نور) الدكتور (حجازي) :
— كيف حدث ذلك النقش على صدره ؟



أقرب منه (صفوت) ، وكاد يجلو على
ركبته ، أمامه ، وهو يهتف في خوف

هزّ الذكور (حجازي) رأسه ، وقال :

— إنه شيء عجيب حقًا ، فدراسي للأنسجة تؤكد أنّ
عمر هذا النقش لا يزيد على يوم واحد ، على حين يبدو ظاهريًا
وكأنه قد انحفر على الجلد منذ مولد هذا الرجل ، وهذا التناقض
يغني أن النقش قد وضع هنا بضغط هائل ، من العجيب أن
تحتله الضلوع ، وتبقى سليمة .

سأله (نور) في دهشة :

— ماذا يعني هذا ؟

عاد الذكور (حجازي) هزّ رأسه ، قائلاً :

— يعني أننا لا نواجه أمرًا علميًا يا (نور) ، بل أفعالًا

شيطانية عجيبة .

وصمت لحظة ، ثم ارتجف صوته ، وهو يستطرد :

— والحق أنني أشعر بخوف مُبهم .. خوف شديد .

ردّد (نور) مُشكّوها :

— خوف ؟!

كان ما يقلقه ، في هذه المرة ، هو أنه أيضًا يشعر

بالخوف ..

خوف مُبهم عجيب ..

أو أنه كان يشعر بالخطر ..

كان هناك شعور عجيب يسري في عروقه ، منذ وقع بصره
على ذلك النقش لأول مرة ..

شعور يشبه ذلك الذي يتأبه ، كلما كان مُقدّمًا على
مخاطرة شديدة ، أو على مهمة جديدة ..

ومن العجيب أن ذلك النقش كان يبدو له أحيانًا مفهوميًا ،
مألوفًا ، على الرغم من ثقته الشديدة في أنه لم يره مرة واحدة ،
في حياته كلها ..

ولكنه حتمًا مُقدّم على معركة ..

معركة شيطانية ..

التصق (صفوت) بالجدار في رُغب هائل ، وهو يحدّق في
وجه (بعلزبول الصغير) ، الجالس أمامه ، وراح قلبه ينبض
في سرعة مخيفة ، وهو يردّد في ارتياح وهَلَع :

— (ابن الشيطان) ؟ .. أنت ابنه ؟ .. ابنه ؟!

صاح به (بعلزبول) في صوت هادر مخيف :

— اصمت .

انتفض جسد (صفوت) كله ، وهاوى أرضًا ، وراى

(ابن الشيطان) ينهض واقفاً ، وقد بدا له أشبه بمارد هائل ،
وهو يقول بلهجته الخفيفة :

— اصمت أيها البشريُّ الأحمق .. كيف ترتعد هكذا ،
بعد أن أنقذتك من سقطتك ؟ .. ألم تفهم بعد أيها الغبي ؟
ارتعد (صفوت) وهو يقول في أمل :

— لقد فهمت .. فهمت يا سيدي .. إنا صديقان .. أليس
كذلك ؟

صرخ (ابن الشيطان) في غضب واستكثار :
— صديقان ؟! .. أيُّ هُزَاء هذا أيها البشريُّ ..
(لوسيفر الابن) ليس له أصدقاء .. ما من بشري يرتفع إلى
مستوى صداقته .

التصق (صفوت) بالأرض ، وانكمش فيها ، وودَّ لو أنها
قد انشقت وابتلعت في هذه اللحظة ، من قُرْط رُغْبِه ، وخاصةً
حينما أشار إليه (ابن الشيطان) ، مستطرذاً في قُوَّة وحُزم :
— إنما أنت تابعي .

تجمدت الدماء في عروق (صفوت) ، وهو يقول في
ملح :

— تابعك ؟!

لوح (بعزبول) بذراعيه في عظمة ، وهو يقول :

— نعم .. تابعي .. كل العظماء هم أتباع .

ثم أدار نحوه عينيه الناريَّتين ، مستطرذاً :

— كما أنني أحتاج حتماً إلى تابع بشري .

غمغم (صفوت) في رُغْب :

— أنت ؟! .. أنت تحتاج إلى تابع ؟!

قال (ابن الشيطان) في صرامة :

— اصمت .

ثم اعتدل ، مستطرذاً ، وكأنه يسترجع تاريخاً قديماً :

— لقد خسرت عدة معارك مع بني البشر ، غيَّرَ تاريخكم

الطويل ، لجُرد أنني كنت أقاتل وحدي ، دون معاون بشري .

غمغم (صفوت) في دُھول :

— غيَّرَ تاريخنا ؟!

ابتسم (بعزبول) في سُخرية ، وهو يقول :

— بالطبع أيها البشريُّ الأحمق .. ألم تقرأ تاريخكم ؟! .. ألم

تقرأ عن (ست) ؟!

اتسعت عينا (صفوت) في مزيد من الدُھول ، وهو يهتف :

— أنت ١٩.. أنت كنت (ست) ، إله الشر (*) .

أطلق (بعلزبول) ضحكة مخيفة ، بدا وكأنها تأتي من أعماق أعماق الجحيم ، قبل أن يقول :

— بالطبع .. كنت أنا هو ، وغيره .. وغيره .. كنت رمز الشر في كل العصور والأساطير .

قالها وعاد يضحك ملء فيه ، على نحو جعل (صفوت) يزداد رعباً وانكماشاً وقلقاً ، وقد بدت له الجدران كلها ترتجف على صدى الضحكات ، قبل أن يتوقف (بعلزبول) بغتة ، وتبرق عيناه ببريق نارى مخيف ، وهو يقول في حدة وكراهية :

(*) تحدث القصص والأساطير المصرية القديمة عن أسطورة

(إيزيس) و (أوزيريس) ، وشقيقهما (ست) ، عندما أراد (ست) أن يزيح (أوزيريس) عن طريقه ، فخدعه في أثناء حفل خاص ، وأقنعه بأن يرقد داخل تابوت خاص ، ثم أغلق التابوت عليه ، وألقاه في النيل ، وراحت (إيزيس) تبحث عن زوجها طيلة عمرها ، حتى عثرت عليه ، وأعادت إليه ملكه ، بعد أن هُزم (ست) ، ومنذ ذلك الحين أصبحت (إيزيس) إلهة الزراعة والخصوبة ، وأصبح (أوزيريس) إله الموتى ، على حين صار (ست) دؤماً إله الشر ، ورمزاً للشيطان .

— ولكن كان هناك دؤماً رمز للخير .

قالها في بغض هائل ، ثم اعتدل ، ليبدو مرة أخرى كالمارد ، قبل أن يستطرد في غضب :

— منذ عهد (أوزيريس) ، راح كل نسله يطاردي غبر القصور .. كل من يحملون دمائه أعداء لي ، ولقد تقائلنا غبر الأجيال ، وتصارعنا بكل ما في الكون من صلابة وشراسة وغناد .

وصمت لحظة ، ثم تقاطر مزيج من البغض والمرارة مع كلماته ، وهو يردد :

— وفي كل مرة كانوا ينتصرون .

صمت لحظة أخرى ، وكأنه يحاول أن يتلع مرارته ، قبل أن يتابع في غضب :

— ومع عودتي هذه المرة ، قررت أن أضع حدًا للصراع إلى الأبد .

وتحول صوته إلى صرخة هادرة مُرعبة ، وهو يكرر :

— إلى الأبد .

كاد (صفوت) يبكى ، وهو يقول :

— أوامرك يا سيدي .

أشار إليه (ابن الشيطان) بكفه في ازدياء ، وقال :
— كلاً .. دورك لم يحن بعد .

ثم عادت عيناه ترقان في غضب شيطاني ، وهو يستطرد :
— لقد بقي اثنان في هذا العالم أجمع ، يحملان دم
(أوزيريس) ، أحدهما صار كهلاً ، لا خوف منه ، والآخر
شاب ، يحمل مع عمره الخطر .. كل الخطر .

غمغم (صفوت) في خوف :

— هل أقتلهما ؟

ابتسم (ابن الشيطان) في سُخرية ، وهو يقول :

— تقتلهما ؟! .. يالك من مغرور !

ثم ضم قبضته أمام وجهه ، مستطرداً في صرامة وغضب :
— إنهما لي ..

ثم أشار إلى لا مكان ، مردفاً في جدّة :

— وسأبدأ بأقواهما .

وبرقت عيناه كجمرتين من نار ، وهو يتابع :

— سأبدأ بالرائد (نور الدين) .. آخر نسل

(أوزيريس) ..

٦ — الآن .. بدأ الصراع ..

أطلقت (نشوى) صيحة مَرَح ، وهي تعبر باب حديقة
المنزل بسيارتها الصغيرة ، عند عودتها من عملها بمركز
الكمبيوتر الرئيسي ، وأوقفت السيارة وسط أخواض
الزهور ، ثم قفزت منها في رشاقة ، واندفعت نحو أمها ، التي
تقف أمام باب المنزل ، واحتضنتها هاتفة في مَرَح :

— أماه .. كم أوحشتي !!

ابتسمت (نسوى) في حنان ، وربّت على كف ابنتها ،
وقالت :

— أنت أوحشتي أكثر يا (نشوى) ، ولكن كُفّي عن
مخاطبتي بلقب أمي ، بهذا الصوت المرتفع ، فهذا يجعلني أبدو
عجوزاً .

ضحكت (نشوى) ، وهي تقول :

— أنت على حق ، فلقد تضاعف عمري بفتة ، بسبب
ذلك العقار العجيب ، الذي تناولته مرعومة ، في أعماق

اغيط الأطلنطى^(*) . حتى أنا نبدو أنا وأنت كشقيقتين .

ضحكت (سلوى) بدورها ، وهى تقول :

— إننى أفضل هذا .

ثم عادت تسألها فى جدية :

— ولكن ما الذى يقنيه كل هذا المرح ، هل قمت بزيارة

خطيبك (رمزى) ، قبل أن تأتى إلى هنا ؟

ضحكت (نشوى) فى حياء ، وهى تقول :

— من الواضح أن أبى قد نجح فى تدريبك على فن

الاستنتاج .. نعم .. لقد زرت (رمزى) .

سألها (سلوى) مبتسمة :

— كيف حاله ؟

أجابها فى مَرَح :

— فى خير حال .. لقد غوفى تمامًا تقريبًا ، بعد إصابته

السابقة ، فى أثناء قتالنا مع تلك الشياطين الصغيرة^(**) .

انسعت ابتسامه (سلوى) ، وهى تقول :

(*) راجع قصة (سادة الأعماق) .. المغامرة رقم (٦٢) .

(**) راجع قصة (السار الأسود) .. المغامرة رقم (٧٠) .

— كم يسعدنى هذا !!

سألها (نشوى) ، وهى تندفع داخل المنزل :

— أين أبى ؟

أجابها (سلوى) ، وهى تتجه معها إلى المطبخ :

— إنه فى زيارة للدكتور (حجازى) ، وسيعود بعد

قليل .

قالت (نشوى) ضاحكة :

— أراهنك أنه قد ذهب إليه لسبب ما ، فأبى ليس

اجتماعيًا ، فيما لا يخص العمل .

رمقتها (سلوى) بنظرة عتاب ، وهى تقول :

— والدك رجل عظيم يا (نشوى) ، ولو أنه ليس

اجتماعيًا ، فهذا يعود إلى أن عمله يلتهم جل وقته ، و

قاطعتها (نشوى) فى مَرَح :

— حسنًا يا أمّاه .. حسنًا .. إننى لم أكن أقصد ذلك ،

ولكننى جائعة للغاية ، وأتمنى أن يعود أبى سريعًا ، لتناول

الطعام معًا .

قالت هذا ، وهى تندفع نحو صنوبر المياه ، وتلتقط كوبًا ،

ثم تفتح الصنوبر ..

وفجأة ، اتسعت عيناها في رُغب ، وتراجعت
كالمصغوفة ، وصرخت في دُغر :
— أمّاه !

التفت إليها (سلوى) في حدة ، ولم تكد تنظر إلى ما تنظر
إليه ابنتها ، حتى اتسعت عيناها في رُغب مشابه ، وهي تهتف :
— ربّاه !!

فأمام عيناها كان الصُّبور المفتوح لا يُلقي الماء ..
بل الدّم ..
الدّم فقط ..

مضت لحظات من الصُّمت والذهول ، و (سلوى)
و (نشوى) تحدّقان في ذلك الدّم ، الذي ملأ حَوْض المطبخ
بلونه الأهر القاني ، قبل أن تغفم (نشوى) في رُغب :
— ما هذا ؟

أجابتها (سلوى) في صوت مُرتجف :
— لست أدري .

ثم أضافت في توثر :

— ولكنه ليس دُومًا بالتأكيد .. لعلّه نوع من الطُّمّي ،
تسرّب إلى مواسير المياه ، أو

لم يتد حديثها منطقيًا ، حتى بالنسبة إليها ، فلقد كانت تعلم
أن أسلوب توزيع المياه الحديث ، لا يسمح بتسرّب ذرّة
واحدة من الشوائب إلى المياه ، فكيف بتلك الكمية الخفيفة من
الطُّمّي الأهر ..

وفي حزم ، وأمام رُعب ابنتها ، قالت (سلوى) :
— سأغلق الصُّبور .

انتزعت نفسها من مكانها ، وألجّحت نحو الصُّبور ،
وتردّدت لحظة في خوف ، ثم مدّت يدها لتغلق الصُّبور ..
وفجأة .. وعندما أمسكت يدها الصُّبور ، توقّف انهمار
الدّم ، وعادت المياه تسيل لتغسل بقايا الدّم من جذران
الحوض ، فراجعت يد (سلوى) في دُغر ، وقفز جسدها
كله إلى الخلف ، وهي تهتف :

— يا إلهي !!

صاحت (نشوى) في رُغب :

— ماذا يحدث هنا يا أمّاه ؟

أجابتها (سلوى) في رُغب لا يقلّ عن رُعبها :

— لست أدري يا (نشوى) .. لست أدري .

ثم مدّت يدها مرّة أخرى في تردّد ، وأغلقت الصُّبور ، ثم
تراجعت في حركة حاذة ، وكأنها تتوقّع أن يحدث شيء ..

ومضت لحظات دون أية ردود أفعال ، فغمغمت
(نشوى) :

— أكان هذا وهما ؟

مالت (سلوى) برأسها ، وتطلعت إلى بقايا الدّم في
الحوض ، وغمغمت :

— بل حقيقة .

زفرت (نشوى) في توثر بالغ ، وألقت جسدها فوق مقعد
كبير ذي مسندين جانبيين ، وهي تهف :

— مستحيل !!

وفجأة ، ارتجف جسدها ، وجسدها أمها ، وتجمدت الدماء
في عروقهما ، فقد انبعث فجأة ضحكة شيطانية مخيفة ، من
مكان مجهول ، ورددت كل الجدران صداها ، فصرخت
(سلوى) :

— ماذا يحدث هنا ؟

أما (نشوى) فقد تجمدت في رُعب ، إذ حِيلَ إليها أن تظهر
مقعدا يرتجف ، أو ينبض ..

وفي بظء ورُعب ، انفتحت تطلّع إلى ظهر المقعد ، ثم لم
تلبث أن أطلقت صرخة تموج بالرُعب ..

لقد رأت ظهر المقعد أشبه بوجه ضخم ، يحدّق بعينين
غيفتين ، ثم يكشر عن أسنان حادة مُرعبة ..

وقبل أن تقفز (نشوى) مبتعدة ، أحاط مسندا المقعد
الجانبيان بجسدها ، كما لو كانا ذراعين جسد حتى ..

وصرخت (نشوى) في رُعب هائل ..

وصرخت (سلوى) في قرع رهيب ..

لقد رأت مقعدها يضم ابتها إليه ، ويفتح أسنانه
ليلتهمها ..

نعم .. ليلتهمها ..

انطلق (نور) بسيّارته الصاروخية ، بسرعة بطيئة نسيًا ،
غبر شوارع المدينة ، وهو يفكر في عمق ..

كان أمر ذلك النقش الغامض يقلقه ، ويشير دهشته ..

بل — والحق يُقال — كان يخيفه ..

لم يكن يدرك معناه ، أو مفزاه ، ولكنه يخشاه ..

وكان يشعر نحوه بخوف مُبهم ..

وعبثًا حاول أن يدرك أو يفهم صلة ذلك النقش برسالة

جده الروحانية ..

لماذا حاولت روح جلدته تحذيره ؟ ..
لماذا قادتته إلى ذلك النقش ؟ ..
وما الذى تُعنيه تلك العبارة الغامضة : « النار وحدها
تفصل الشرور » ؟ ..
لماذا يبدو كل شيء غامضًا مُخيفًا هذه المرة ؟ ..
لماذا ؟ .. لماذا ؟ .. لماذا ؟ ..
عشرات التساؤلات ملأت رأسه ، وأحاطت بتفكيره في
قُوَّة ..
وفجأة ، وبينما كان ينحنى في مُنْحَنى حاد ، يحتاج — حتى ممن
يحيدون القيادة تمامًا — إلى حَذَرٍ وانباء شديدين ، هاجته كل
مخاوفه ..
هاجمته على هيئة ظل شيطاني مخيف ، لا شكل له ، انقضى
على سيارته فجأة ، فأحال النهار أمامه إلى ظلام مُرْعِب ..
كان الموقف يبدو كما لو أن الليل قد انقضى فجأة على سيارة
(نور) ، دون ما عداها ..
وحده رأى الظلام يحيط به تمامًا ، في وَضَحِ النهار ..
وكرُد فعل طبيعي للمفاجأة والخوف ، فقد (نور)
سيطرته على أزرار القيادة ..



لقد رأت ظهر المقعد أشبه بوجه ضخم ، يحدق بعينين مخيفتين

٧ - عالم الأوهام ..

انتفض جسد (سلوى) كله ، وهي تصرخ ..
وامتزجت صرخات الرغب ، المتنافزة من صدرها ، مع
صراخ (نشوى) ، وهي تقاوم ذلك المقعد الحى ، الذى
يحاول التهاقها ..
كان الشهيد كله أشبه بخلم مخيف ..
بكابوس ..

ومع مشاعر الأمومة فى عروقها ، انتزعت (سلوى)
نفسها من خوفها ، والتقطت سكينًا ضخمًا ، من وسط
أدوات المطبخ ، وصرخت :
— اترك ابنتى أينما الوحش ..
واندفعت نحو المقعد صارخة ..
وفجأة ، أمسك شيء ما بقدمها ، ففجرت وسقطت على
وجهها ..
وعندما التفت ، لى ذلك الشيء ، صرخت كل خلية
من خلاياها فى رعب ..

وانحرقت سيارته فى شدة ..
وارتطمت بحاجز الطريق الجانبى ..
ودارت حول نفسها فى عنف ..
ثم انقلبت رأسًا على عقب ، واشتعلت النيران فى أحد
أطرافها ..
وداخلها رقد (نور) ، شبه فاقد الوعي ..
وفى أذنيه ترددت ضحكة مخيفة ..
ضحكة شيطان ظافر ..



لقد كان الموقد ..

الموقد الضخم أمسك بقدمها ..

هو أيضًا دبَّت فيه الحياة ..

وفي رُغْب رأت (سلوى) باب لُرنه يُفتح ، وزرَّ الإشعال
ينضغط ، فضاء كل مصابيح الأشعة دون الحمراء ، المخصصة
لشئ الأظعمة ..

وفي قوَّة راح الموقد يجذبها نحو الفرن ..

وصرخت هي لي رُغْب ..

لقد أدركت غرض ذلك الموقد الشيطاني حتى ..

إنه سيثورها ..

سيثورها حيَّة ..

شعر (نور) بخوف عجيب ، عندما دَوَّت في أذنيه تلك
الضحكة الشيطانية مجهولة المصدر ، وحاول أن يقاوم تلك
الغيوبة ، التي تحيط برأسه ، وتنتزع منه الوعي تدريجيًا ،
وتناهت إلى مسامعه أصوات من أحاطوا بسيارته المخطئة ،
وهم يهتفون في دُعر ، وينادون بطلب طوافة إسعاف ..
ولكنه كان منهكًا تمامًا ..

شيء ما راح يدفعه للاستسلام ..

كان يعلم أنه سيلقى حتفه حرًّا ، ولكنه كان — لسبب

ما — عاجزًا عن المقاومة ..

وفجأة ، لحُلَّ إليه أنه قد انتزع من عالمه تمامًا ..

ربما سقط في غيوبة ..

أو انتقل عقله إلى عالم آخر ..

إلى برزخ نادر مجهول ..

برزخ يصل ما بين عالمنا ، وعالم الحياة الأبدية ..

وبدا له وجه جدّه واضحًا ، وسمعه يقول في حزم :

— انهض يا ولدي .. لاتسمح له بالانتصار .. لاتجعل

يهزمك .

حاول أن يهتف :

— إنني أعجزُ من أن أفعل يا جدّي .

ولكنه لم يستطع ..

فقط استمع إلى جدّه ، وهو يهتف :

— أنت الأمل الوحيد الباقي يا ولدي .. لاتترك مبعوث

الرحيم هذا يُشيع الشر حيثما ذهب .. قاومه .. واقطعه .. من

أجل البشرية .

هتف (نور) في مرارة :

— لا أستطيع .. أنا ضعيف .. ضعيف ..

صاح الجَدُّ في غضب :

— انهض ، من أجل وطنك وعالمك ..

صاح (نور) :

— لقد حاولت ، وفشلت ..

عقد الجَدُّ حاجبيه في قوَّة ، وهو يقول :

— انهض إذن من أجل ابتك وزوجتك ..

ابته ١٩ ..

زوجته ١٩ ..

وفجأة ، خرج (نور) من البرُخ ..

عاد إلى عالمه ..

ورأى النيران تقترب منه ..

وشعر بالقُوم من حوله يجاهدون لإخراجه من بين

الحُطام ..

وهنا فقط ، دبَّ الحماس والحزم في قلبه وجسده ..

وراح يقاوم من أجل الخلاص ..

وكانت النار تقترب .. وتقترب .. وتقترب ..

وهو يقاوم .. ويقاوم .. ويقاوم ..

ولم يكن يدري بعد من سينتصر .. هو ، أم
(ابن الشيطان) ؟

كان الموقف ، في مطبخ منزل (نور) رهيبًا مخيفًا ..

كانت (نشوى) تقاوم ذلك المقعد الحَيِّ في رُعب ..

والموقد الشيطاني يجذب (سلوى) إليه ..

مشهد شيطاني مخيف ..

مشهد أبدعته قريحته مخرج ، جاء من أعماق الجحيم ..

مخرج شيطاني ..

وكان كل شيء يدعو إلى اليأس ..

وفي غمرة المرارة والرُعب ، واليأس ، صرخت

(سلوى) :

— رحماك يا إلهي !!

وفجأة ، ارتجف كل شيء ..

ارتجفت الجدران ..

ارتجفت الأثاث ..

كل حجر وزاوية وركن في المنزل كله راح يرتجف ، كما

لو أن زلزالاً عنيفاً قد انتفاه ، من دون بقاع الأرض ، وانقضَّ
عليه بكل قواه ..

كل أبواب أصونة المطبخ انفتحت دفعة واحدة ..
كل محتوياتها انهالت على رأس (سلوى) و (نشوى) ،
اللتين تعالى صراخهما ، وهما تحميان وجهيهما بأذرعهما
وكفوفهما ..

وشهقت (سلوى) في رُعب هائل ، عندما رأت سكيناً
ضخماً يهوى نحو عنقها ، وأدارت رأسها في حركة حادة ،
فانهرس نصل السكين في الأرض ، على قيد ستيمتر واحد من
وريدها العنقي ..

ثم هدا كل شيء فجأة ..

هدأت العاصفة الشيطانية كما بدأت ..
وعاد المقعد الحى مقعداً عادياً ، وكذلك الموقد ..
وفي دُهور ، أدارت (سلوى) عينها فيما حولها ..
وفي رُعب ، قفزت (نشوى) من مقعدها ، وراحت
تحقق فيه في قلع ، قبل أن تصرخ :
— أمه .. دعينا نخرج من هنا .. دعينا نغادر ذلك المكان .
صرخت بها (سلوى) ، وهى تنهض :

— إنه منزلنا .

صاحت (نشوى) ، في لهجة أقرب إلى الانهيار :

— إنه لم يعد كذلك .. لم يعد كذلك .

ثم صرخت في انهيار :

— إنه الجحيم بعينه .

مرة أخرى تجمّدت الدماء في عروقهما ، عندما تردّد في
المكان صدى تلك الضحكة الشيطانية الخيفة ..

وصاحت (نشوى) :

— هيا .. لن أبقى في ذلك المنزل لحظة واحدة .

انطلقتا تغدوان في رُعب ، نحو باب المنزل ، وتحيل إليهما
أن كل أثاثات المكان تتمايل في سُخرية ، وتطلق ضحكات
مشابهة لتلك الضحكة ، أو أنها تردّد صداها ..

وصرخت (سلوى) في رُعب :

— أى عذاب هذا ؟! .. أى عذاب ؟

ثم فتحت باب المنزل في جدّة ..

ولكن إحداهما لم تغادره ..

لقد تراجعتا في رُعب هائل ..

كانت أمامهما حديقة المنزل ، وقد استحالَت إلى هشيم

ذابل محترق ..

وخلفها لم يكن هناك شيء ..

فقط فراغ ..

فراغ هائل مخيف ..

قاوم (نور) في شدة ؛ لينزع نفسه من وسط حطام
السيارة ، وجاهد ؛ ليدفع جسده إلى الأمام ، وسمع المحيطين
بالسيارة ، وهم يتجادلون في توثر وقلق ، ويحاولون إطفاء
النار ، التي راحت تزحف نحوه في سرعة مخيفة ..
وفجأة ، أمسكت يد قوية بمعصمه ، وانتزعته في عنف من
بين الحطام ..

ووجد نفسه يقف أمام بقايا سيارته المحترقة ..

وفي آية ، هتف :

— يا إلهي !!! لقد نجوت .. حمدًا لله ..

ثم التفت إلى المحيطين به ، مستظرًا في انفعال :

— شكرًا لتعاونكم أيها السادة ، ومزيد من الشكر ،

لذلك الذي جذبني من بين الحطام .

هتف أحدهم في دهشة :

— جذبك ؟! .. ولكن أحدا لم يجذبك .. لقد قفزت

وحدك من بين الحطام ، وهي معجزة والحق يُقال .

تطلع إلى الرجل مشدوها ، وهتف :

— وخدي ١٢

ثم أشار إلى معصمه ، مستظرًا :

— ولكنني ما زلت أشعر بـ ..

بتر عبارته بغتة ، وقد بدا له من غير المُجدي أن يشرح

ما حدث ..

لقد بدأ الأمر برسالة من عالم الأرواح ، وأمر يبدأ هكذا ،

لا ينبغي أن ينتظر منه المرء خطوات منطقية أو مفهومة ..

وفجأة ، برزت في رأسه صورة زوجته وابنته ، فهتف :

— يا إلهي !!

ثم اندفع فجأة ، أمام الجمع المشدوه ، مخترقًا الطريق ، في

سبيله إلى منزله ..

وفي أعماقه راح يهتف :

— رباه !! عاوتى يا إلهي !! حتى أصل قبل أن يصيها

شيء .. عاوتى يا إلهي !..

تراجعت (سلوى) في رُعب وانهار ، وهي تهتف :

— لا يوجد شيء يا (نشوى) .. لقد انقل المنزل كله إلى

عالم من العدم .

صرخت (نشوى) :

— مستحيل .. لا يوجد عالم من العدم .. العدم هو ألا

يكون هناك شيء .

ثم توقفت بصرها عند نقطة ما ، وهتفت مستطردة :

— انظري يا أمّاه .. هناك .

ارتجفت (سلوى) ، وهى تهتف :

— ماذا هناك يا (نشوى) ؟ .. ماذا هناك ؟

صاحت فى انفعال :

— سيّارتى يا أمّاه .. إنها هناك .. وسط كل هذا الحطام ..

ما زالت تقف سليمة .

صاحت بها (سلوى) فى مرارة ويأس :

— وفيم تفيد سيّارتك يا (نشوى) ؟ .. إنها لن تنطلق

وسط القدم .

جذبتها (نشوى) من معصمها ، وهى تهتف :

— مَنْ يَدْرِى ؟ .. المهم أن نحاول .

انطلقنا نعدوان نحو السيّارة ، وما إن بلغناها حتى فتحت

(نشوى) بابها ، وقفزت داخلها ، وصرخت بأُمّها :

— بسرعة يا أمّاه .. بسرعة .

قفزت (سلوى) على المقعد المجاور لها ، وأسرعت هى

تضغط أزرار إشعال المحرك ، على حين هتفت (سلوى) :

— إلى أين سنذهب ؟ .. إلى أين ؟

صرخت (نشوى) :

— لست أدري .. المهم أن نبتعد عن هنا .. هذا هو

المهم .

انطلقت بالسيّارة فى توثر وخوف بالغين ، وهى تغمغم فى

أعماقها :

— المهم أن نبتعد .. وأن نبتعد كثيراً ..

وفجأة ، برز شيء ما من الأرض ..

كيان أسود هائل مخيف ..

أبشع شيء رآته فى حياتها ..

وصرخت (سلوى) ، وتجمّدت يد (نشوى) على

عجلة القيادة ..

وانحرفت السيّارة ..

وهوت ..

هوت فى فراغ بلا نهاية ..

٨- لعبة أرواح ..

هوت السيارة ..

أحاط بها فراغ مظلم ، من كل الاتجاهات ..

وتردد صدى صرخة (سلوى) في عقلها ..

وراح الصوت يخفّ ويخفّ ويخفّ ..

والظلام يشتد .. ويشتد .. ويشتد ..

ثم انقشع فجأة ..

كل شيء انتهى في لحظة واحدة ..

واستيقظت (سلوى) ..

استيقظت لتجد نفسها راقدة على سرير صغير ، داخل

مستشفى أنيق ، وإلى جوارها جلس (نور) ، يتطلع إليها في

حنان وإشفاق ..

وهتفت :

— أين أنا ؟ أين (نشوى) ؟ .. ماذا حدث ؟

رَبَّتْ (نور) على كتفها في حنان ، وقال :



— حمدا لله على سلامتك يا عزيزي .. لقد نجوت
بأعجوبة ، فقد انطلقت (نشوى) بالسيارة في سرعة
مفاجئة ، فارتطمت بحاجز الحديقة ، وتحطمت مقدمتها .
هتفت في دهشة :

— الحديقة ؟ .. أما زالت هناك حديقة ؟
أجابها في خيرة :

— بالطبع يا عزيزي .. إنها هناك دوماً .
أغلقت عينها في ألم ، وهي تفهم :

— كلا .. آخر مرة رأيتها لم تكن هناك .. أو لم تكن
حديقة .. كانت مجرد هباء مشور .

عقد حاجبيه في دهشة ، وهو يقول :

— ماذا ؟ .. الحديقة كما هي يا (سلوى) .. لقد نقلتكما
منها إلى هنا ، بعد الحادث ..
هتفت بغتة :

— أين (نشوى) ؟

ربت على كفها ، مغمغماً :

— اطمئني .. إنها بخير .. لقد أصيبت بكسر في إحدى
أضلاعها ، وتم علاجها ، وهي تنام الآن في الحجرة المجاورة .

تنهدت في ارتياح ، واسترخت في سريرها ، فقال نحوها ،
وهو يقول في قلق :

— ماذا حدث يا (سلوى) ؟ .. أخبريني بالله عليك ..
ماذا حدث ؟

زفرت في توثر ، وقالت :

— سأخبرك يا (نور) .. سأخبرك بكل شيء .

استمع الدكتور (حجازي) ، في مزيج من القلق
والاهتمام ، إلى (نور) ، وهو يروي له كل ما سمعه من زوجته
بالتفصيل ، ثم عقد حاجبيه في توثر ، وهو يتراجع في مقعده ،
قائلاً :

— أنت واثق من كل ما رويته الآن يا (نور) ؟

أجابها (نور) في توثر :

— تمام الثقة يا سيدي .

ثم قلب كفيه في خيرة ، مستطرداً :

— ولكن ماثير دهشتي حقاً ، هو أن شيئاً لم يتغير في
المنزل .. لقد عُدت إليه ، بعد أن قصت على (سلوى)
القصة ، فوجدت كل شيء فيه على ما يرام .. والمطبخ مرتب
نظيف ، وكل قطعة في موضعها .

قال الدكتور (حجازي) في اهتمام :

— إذن لكل ما حدث مهما كان مجرد وهم .

نعم (نور) :

— يبدو أن هذا صحيح .

مط الدكتور (حجازي) شقيقه ، وعقد حاجبيه في

شدّة ، وراح يفكر في غمق ، قبل أن يقول في قلق :

— أعلم ما الذي يعني ذلك يا (نور) ؟

سأله (نور) في توتر :

— ماذا ؟

اعتدل ، وهو يجيبه في صوت متوتر :

— يعني أن بيتك قد سكنته الأرواح الشريرة .

تراجع (نور) ، وهو يتف في دهشة :

— ماذا ؟

ثم عقد حاجبيه بدوّره ، وهو يستطرد في جدّة .

— ماذا تقول يا دكتور (حجازي) ؟ .. إنني رجل

علم .

أوماً الدكتور (حجازي) برأسه موافقاً ، وقال :

— ماذا تقول أنت يا (نور) ؟ .. كلانا رجل علم يا ولدي ،

ولكن ليس كل ما يحويه كوننا معروفًا ومعلومًا .. كوكبنا نفسه
يحوي من الألفاظ ما يفوق قدرتنا على تفسيره ، مثل خفايا الهرم
الأكبر ، ومثلث برمودا ، وغيرها .. وهذا لا يعني أنها أمور
مخالفة للعلم ، ولكن يعني أن علومنا لم تبلغ بعد الحد الكافي
لفهمها .

زفر (نور) في قوّة ، وغمغم :

— ولكن مسألة الأرواح الشريرة هذه

قاطعه الدكتور (حجازي) في حزم :

— هذا هو التفسير الذي أملكه يا (نور) .

تنهّد (نور) مرّة أخرى ، وقال :

— حسناً .. هذا أفضل مني ولا شك ، فليست أملك

تفسيرًا واحدًا .

ثم نهض من مقعده ، واتجه نحو نافذة حجرة مكتب الدكتور

(حجازي) ، وتطلّع منها إلى الطريق لحظات ، ثم زفر مرّة

ثالثة ، وقال :

— يبدو أن هذا الأمر يفوق إدراكي .

غمغم الدكتور (حجازي) في إشفاق :

— لا بأس .. ذغ لي الأمر كله .

التفت إليه ، وسأله في اهتمام :

— ماذا ستفعل ؟

أجابه في هدوء حازم :

— سأستعين بزميل لي ، ونقيم الليلة جلسة لتحضير

الأرواح .. في منزلك ..

* * *

لم تكد عقارب الساعة تعلن تمام العاشرة مساءً ، حتى رأى
(نور) سيارة الدكتور (حجازي) تعبر بوابة حديقة منزله ،
ورآه يهبط منها ، بصحبة رجل طويل القامة ، عريض
المنكبين ، وقف يتلفت حوله في هدوء ، ثم مطَّ شفته ، وتبع
الدكتور (حجازي) إلى منزل (نور) ، الذي أسرع
يستقبلهما عند الباب ، فقدم إليه الدكتور (حجازي)
زميله ، قائلاً :

— الدكتور (عبد الجليل) ، أشهر وسيط زوحي في
الشرق الأوسط .

صافح (نور) الرجل ، وهو يقول :

— كم أتعجب من مقابلة الدكتور (عبد الجليل) .

تلفت الدكتور (عبد الجليل) حوله ، وهو يصافح

(نور) ، ثم غمغم في لهجة تشف عن خيرة حقيقة :

— عجباً !!.. المنزل يبدو لي نظيفاً للغاية .

غمغم (نور) مستفهماً :

— نظيفاً ؟

أجابه الدكتور (حجازي) ، مفسراً :

— هذا يعني أنه خالٍ من الأرواح .

حدَّق (نور) ، في وجه الدكتور (عبد الجليل) ، هاتفاً في

دهشة :

— هكذا ؟ .. بهذه البساطة ؟

التفت إليه الدكتور (عبد الجليل) في حركة حادة ، وقال :

— من الواضح أنك لا تفهم شيئاً عن عالم الأرواح يا فني .

غمغم (نور) :

— في الواقع أننى

قاطعه في صرامة :

— هل يمكنى ، أنا وأنت ، أن نرى الأشياء الدقيقة بنفس

الوضوح ؟

هزَّ (نور) كتفيه ، وقال :

— كلاً بالطبع .. فقد

قاطعه مرة أخرى :

— هذا ينطبق أيضًا على عالم الأرواح ، فما أراه أنا في
وضوح ، قد لا يمكنك رؤيته أبدًا ، أما ما أشعر به ، فقد
لا تشعر أنت به مدى الحياة .

زفر (نور) في توثر ، وقال :

— حسنًا .. إنني أعترف بأنني أجهل أمور عالم الأرواح
تمامًا .

ابسم الدكتور (حجازي) ابتسامة متوترة ، وهو يقول ،
محاولًا تخفيف الموقف :

— لا بأس .. ما رأيكما أن نبدأ على الفور ؟

غمغم (نور) في ضيق :

— إنني أوافق بالطبع ، فأنا أحب أن ألهي هذا الأمر
بأقصى سرعة .

قال الدكتور (حجازي) :

— كلنا هذا الرجل .

ثم التفت إلى (نور) ، يسأله :

— أحدث شيء ، بعد عودتك يا (نور) ؟

هز رأسه نفيًا ، وقال :

— لا شيء مطلقًا .

اتجه (عبد الجليل) نحو مقعد يتوسط زخمة المنزل ، وجذبه
ليجلس فوقه ، وهو يقول :

— حسنًا .. فلنبدأ .

جلس الدكتور (حجازي) و (نور) على جانبيه ،
ووجهاهما إليه ، وأغلق هو عينيه ، وراح يجمع بكلمات مُبهمة
غريبة ، ثم قال الدكتور (حجازي) في صوت عميق :

— تم .. تم .. وانتقل إلى عالم اللاوعي .. اترك عقلك هم .

واصل (عبد الجليل) تتمته المُبهمة ، على حين ارتفع
صوت الدكتور (حجازي) ، وهو يقول في حزم وقوة :

— هيا .. أقدموا .. سنستضيفكم هنا .. في عقله .. هيا .

وفجأة ، تحولت تتمته (عبد الجليل) المُبهمة إلى أنين ،
وراح يعتصر أجفانه في قوة ، فعقد الدكتور (حجازي)
حاجبيه ، وغمغم في توثر :

— ما هذا ؟! .. ماذا يحدث ؟

هَبَّ (نور) من مقعده ، وهو يهتف في توثر :

— ماذا ؟! .. أتعني أن هذا ليس أمرًا طبيعيًا ، في جلسات

تحضير الأرواح ؟

راح الدكتور (عبد الجليل) ، في هذه اللحظة ، يتأوه في
قوة ، ويتلوى في آلام رهبة ، فهتف الدكتور (حجازي) :
— كلاً .. ليس طبعاً على الإطلاق .

ثم أخذ يهز (عبد الجليل) في قوة ، وهو يهتف :
— استيقظ يا (عبد الجليل) .. استيقظ .. غداً إلى
وعيك .

صرخ (عبد الجليل) في ألم ، وراح يتلوى ، ويهتف بعبارات
متضرعة ، فصرخ (نور) ..

— ماذا يحدث ؟!

لم يكد يتم عبارته ، حتى راحت كل أثاثات الردهة تهتز في
قوة ، فشخب وجه الدكتور (حجازي) ، وهو يفهم :

— يا إلهي !

ثم عاد يهز (عبد الجليل) في عنف ، صارخاً :

— غداً إلى وعيك يا (عبد الجليل) .. غداً بالله عليك .
وفجأة ، راحت كل الأثاثات ترتفع ، وتهوى أرضاً ،
وقفزت لوحات الحائط من أماكنها ، وتحطمت أرضاً ، وهتف
(نور) :

— يا إلهي !! آية أفاعيل شيطانية هذه ؟

صاح الدكتور (حجازي) :

— إنها الأرواح .. الأرواح الشريرة .. لقد سيطرت على
المكان ، وعلى جسد (عبد الجليل) المسكين .
وهنا انطلقت صرخة هائلة ، من خنجرة (عبد الجليل) ،
فالتفت إليه (نور) والدكتور (حجازي) ، ولكن ما رأياه
جعلهما ، على الرغم من شجاعتهما ، يرتجفان رُعباً ..
وكان الرُعب هائلاً ..
هائلاً للغاية ..



٩ — عين الشيطان ..

توقفت سيارة صاروخية أنيقة ، تحمل شعار الأطباء ،
داخل موقف السيارات الخاص ، بفناء مستشفى (القاهرة)
المركزي ، وهبط منها شابٌ وسيم ، يرتدى معطف الأطباء
المميز ، الذي يحمل شعار المستشفى ، وعبر بوابتها الضخمة في
هدوء ، واتجه إلى ممرات قسم الطوارئ والإنعاش ، حيث
أخرج من جيبه بطاقة صغيرة ، لاثبت به أى حال من الأحوال ،
تلك البطاقة ، التي يحملها أطباء المستشفى ، إلا أنه ، وعلى
الرغم من ذلك ، لم يكذب يدسها في ذلك الفراغ الدقيق ، بجوار
رتاج باب الممر ، حتى استجاب له في يسر ، وانفتح في
هدوء ، فعبره الشاب ، وهو يحمل على شفتيه ابتسامة خبيثة ،
ويغمغم في سُخرية :

— رائع .. كل الأبواب تخضع

واتجه نحو غرفة جانيبة ، وهو يستطرد :

— رائع هو هذا الشيطان .. لا شيء يهزمه أبداً .

دفع باب الحجر في هدوء ، وتطلع إلى (نشوى) ، التي
ترقد في هدوء ، وقد استسلمت لنوم عميق ، وأنبوب دقيق
يقوص في شريانها ، وغمغم في سُخرية :

— نورماً هنيئاً يا صغيرتى .

ثم أخرج من جيبه محقناً ، دفع إبرته في الأنبوب ، ودفع
داخل الأنبوب سائلاً أحمر اللون ، أشبه بالدم ، وهو يستطرد
في صوت أشدَّ سُخرية :

— مع تحيات الشيطان نفسه .

وعندما انطلقت ضحكة ، من بين شفتيه ، كانت كبيرة
الشبه بضحكة سيده ..
(ابن الشيطان) ..

تراجع (نور) والدكتور (حجازي) في رُغب شديد ،
وهما يحدقان فيما يحدث لـ (عبد الجليل) ..
كانت عيناه جاحظتين ، على نحو لم يحدث لبشر من قبل ،
حتى لقد بدتا وكأنهما خارج وجهه ، على حين تدلَّى لسانه على
نحو بشع ، والتوت أطرافه في شدة ، كما لو كانت مصنوعة من
المطاط ..



يد عملاقة ، زرقاء مخيفة ، ذات مخالب حادة رهبة ، برزت من أرض الردهة

ولكن كل هذا لم يكن سبب رعبهما ..

لقد هاجهما الرعب بسبب يد ..

يد عملاقة ، زرقاء ، مخيفة ، ذات مخالب حادة رهبة ،
برزت من أرض الردهة ، وقبضت على وسط الدكتور
(عبد الجليل) ، تعصره في قوة ..

وصرخ الدكتور (حجازي) :

— ما هذا ؟ .. ما هذا يا (نور) ؟

هتف (نور) :

— أتألني أنا ؟ .. سبق أن أكدت أنني لا أفقه شيئا في

تلك الأمور .

ازداد توثرهما ورعبهما ، عندما اندلعت فجأة السنة
الذهب ، من ذلك الشق الضخم ، الذي برزت منه اليد
الماردة ، وصاح الدكتور (حجازي) ، وهو يتراجع في
حدة :

— أي جنيم هذا ؟ .. أي جنيم ؟

وهنا صرخ الدكتور (عبد الجليل) في ضراعة :

— الرّحة .. ألقذولي .. إني أموت .. أموت .

انتزعت هذه العبارة (نور) من مخاوفه ، فانهقد حاجباه

في شدة ، وهو هتف :

— لن نتخلّى عنك .. لن نتركك .

ثم انتزع مسدسه الليزرى فى عُنف ، وأطلق أشعته نحو اليد العملاقة ، ولكن اليد لم تتأثر مطلقاً ..

وصاح الدكتور (حجازى) :

— لا فائدة يا (نور) لا فائدة .

صرخ (نور) :

— مستحيل !!

وهتف الدكتور (عبد الجليل) فى ألم :

— أنقذونى .. أرجوكم .

وفجأة ، برزت من الأرض يد ماردة أخرى ، وقبضت

على وسط الدكتور (حجازى) ، الذى صرخ فى هلع :

— النجدة يا (نور) !! النجدة !!

التفت إليه (نور) ، وهو يصرخ فى يأس :

— ولكن ماذا أفعل ؟ .. أخبرانى بالله عليكما .. ماذا

أفعل ؟

وفجأة ، برزت يد بشعة ثالثة .. ورابعة .. وخامسة ..

غابة من الأيدي الماردة الخيفة برزت فجأة ، وسط صرخة

(نور) :

— ماذا أفعل ؟ ..

حقاً ..

ماذا يفعل ؟ .. !!

أوقف (صفوت) سيارته أمام منزله ، وهبط منها فى هدوء ، ثم نزع عنه ذلك المعطف الأبيض ، الذى يحمل شعار مستشفى (القاهرة) المركزى ، والذى كان يرتديه عندما انتحل شخصية الطبيب ، وألقاه داخل السيارة ، ثم اعتدل فى مهابة ، واتجه نحو المنزل ، ودفع بابه ، وارتجف فى خوف وتوتر ، عندما انبعث فى الظلام صوت صارم يقول :

— هل نجحت ؟

لم يجرؤ (صفوت) على التطلع إلى العينين التاريتين ، وهو يقول :

— بالطبع يا سيدي .. لا أحد يفشل ، عندما ترعاه أنت .

اتسم (ابن الشيطان) فى زهو ، وهو يقول :

— صدقت .

ثم جلس صامتاً ، وراحت عيناه تتألقان ببريق شيطاني مخيف ، كما لو أن لها يدلع فى محجريهما ، فغمغم (صفوت) فى خوف :

— ماذا هناك يا سيدي ؟

أجابه في صرامة مخيفة :

— اصمت ..

وكان هذا يكفي ..

وصمت (صفوت) ..

لأول مرة يشعر (نور) أنه عاجز تمامًا ..

كانت عشرات الأيدي تبرز من الأرض ، في أبشع مشهد
رآه في حياته ، وقد اعتصرت إحداها الدكتور (عبد الجليل)

في قبضتها ، واعتصرت الأخرى الدكتور (حجازي) ..

وهو وحده يجهل كل شيء عن عالم الأرواح ، الخيرة منها
أو الشريرة ..

وسلاحه الوحيد لا يؤثر فيها أبدًا ..

وفجأة ، امتدت يد بشعة نحوه ..

أطلق أشعة سدسه نحوه مرة ، وأخرى .. وأخرى ..

ولكنها واصلت تقدمها نحوه ..

ثم أحاطت به تلك الأصابع البشعة ، ذات الخالب الرهبة ..

واعصرتة الأصابع ..

وبدا أن الشيطان الابن سينتصر في معركته ..

سينتصر حتمًا ..

١٠ — لمحة أمل ..

فجأة ، استيقظت (نشوى) من نومها ..

وفجأة ، نهضت جالسة على سريرها ..

وبآلية تامة ، نهضت واقفة ..

ثم صرخت ..

أطلقت صرخة مدوية ، جلجلت في ممر المستشفى كله ، ثم

انترعت الأبواب الدقيق من ذراعها ، وألقت به بعيدًا ،

واندفعت نحو باب الحجرة ، وفتحته في قوة ، ثم قفزت إلى

الممر ..

وأسرع ممرضو المستشفى نحوه ، وهم يتساءلون عما

أصابها ، أمّا هي ، فقد وقفت تنظرهم في هدوء ، وعيناها

تألقان ببريق مخيف ..

بريق أشبه ببريق عيني (ابن الشيطان) ..

وتوقّف الرجال الثلاثة في خوف ، قبل أن يصلوا إليها ..

شيء ما في نظراتها سحرهم في خوف ..

ثم تما لك أحدهم جأشه ، واتجه نحوها ، مغمغماً :
— رُوَيْدُكَ يا آنسة ... رُوَيْدُكَ .. لا شيء هنا يستحق كل
هذا .

أطلقت من بين أسنانها زنجرة مخيفة ، جعلت الرجل يتراجع
على نحو حاذٍ ، وهو يحلّق فيها بعينين ذاهلتين جاحظتين ..
وفجأة ، انقضت عليهم (نشوى) ...
انقضت كأنثى لير شرسة ..

وبلكمة كالقنبلة ، أطاحت بالرجل الأول بعيداً ، ثم
استدارت إلى الثاني ، وحطمت فكّه بلكمة ثانية ..
وتراجع الثالث ، هاتفاً في رُعب :

— الرُّحمة يا آنسى !! الرُّحمة !! إننى لم أفعل لك شيئاً .
اقتربت منه في شراسة ، وعيناها تبرقان في وحشية ، فأنهار
هاتفاً :

— الرُّحمة !!
وهنا برز أحد رجال أمن المستشفى ، وألقى نظرة ذاهلة
على الرجلين الملقين أرضاً ، ثم رفع عينيه إلى (نشوى)
والرجل الثالث ، قبل أن يغمغم في دُهور :
— ماذا يحدث هنا ؟

لم يكذ المرّض الثالث يسمع صوت رجل الأمن . حتى
التفت إليه ، وهتف في ضراعة :
— النجدة !! النجدة !!

لم يفهم رجل الأمن كيف يرتعد رجل ضخم كهذا ، أمام
فتاة رقيقة مثل (نشوى) ، إلا أن نظرة أخرى على الرجلين
الفاقدى الوعى ، جعلته يحسم أمره في سرعة ، ويتزع مدّسه
الليزرى ، ويصوّبه إلى (نشوى) ، هاتفاً في صرامة :
— توقّفى ياسيدتى .. توقّفى أو أطلق النار .

ولكن (نشوى) لم تلتفت إليه ، بل جذبت إليها المرّض
المسكين ، الذى صرخ في رُعب :
— الرُّحمة !!

ثم هوت قبضتها على فكّه ، فهشمت أسنانه الأمامية كلها .
وتدفّق نهر من الدماء في فمه ..
وهنا صرخ رجل الأمن :

— توقّفى ياسيدتى .. هذا هو الإنذار الأخير .
ولكنها رفعت قبضتها مرّة أخرى ، لتهدى بها على فكّ
الرجل ، فصرخ رجل الأمن :

— إنك لم تترك لي خياراً يا سيدي ..
وأطلق أشعته الليزرية ..

لم يكن هناك ما يمكن أن يفعله (نور) ..
لقد انهزم في معركته ..

اندحر ..

تخلم ..

ولكن ما آله حقاً هو أنه لم يعلم بعد من غريمه ، أو ما الذي
يقاتله ..

ولكنه ، على الرغم من الآلام التي يعانيها ، من اعتصار
اليد الماردة له ، لم يكن قد صدق بعد ما يحدث ..

كان الأمر برؤيته يبدو له أشبه بكابوس رهيب ..

نعم .. كابوس ..

برزت الفكرة في رأسه بغتة ، فصرخ في قوة :

— كابوس ..

لم يفهم الدكتور (حجازي) ما الذي يقنيه (نور) ،
الذي كرّر في قوة :

— كل هذا مجرد كابوس .. وهم .. خيال .. هذا وهم ..

وهم ..

وفجأة ، ومع آخر حروف كلماته تلاشي كل شيء ..
اختفت الأيدي المعلقة ..

انتهى الخوف ..

عاد الزمن كله إلى الوراء بقفزة واحدة ..

فجأة ، وجد الثلاثة أنفسهم يجلسون كما كانوا ..

الدكتور (عبد الجليل) في المنتصف ، و (نور) والدكتور

(حجازي) على جانبيه ، ووجهاهما إليه ..

وانتفض الثلاثة انتفاضة واحدة ، كما لو كانوا يستيقظون

من حلم بشع ، وحدق بعضهم في وجه البعض في ذهول ، ثم

هَبَّ (نور) واقفاً ، وتطلع إلى المنزل الهادئ المنظم من

حوله ، وهتف :

— ما هذا ؟ .. أكنّا نحلم ؟

صاح الدكتور (عبد الجليل) ، وهو ينهض في دُغر :

— مستحيل !! لا يوجد حلم بكل هذا الوضوح ..

وغمغم الدكتور (حجازي) في شحوب :

— حتماً لم يكن حلمًا ..

هتف الدكتور (عبد الجليل) في خوف :

— إنني لم أر أبداً شيئاً كهذا .. صدقتني يا فتى ، تلك

الروح الشريرة ، التي تقطن منزلك ، من أشد الأرواح شرًا
في هذا العالم .. صدقني .

ثم اندفع نحو الباب ، مستطردًا في صوت مرتجف :
— ولن يمكنني التصدي لها يا ولدي .. لست كفؤًا
لذلك .

هتف به (نور) :

— انتظر يا سيدي .. إنني أحتاج إلى تعاونك .

صاح الرجل في رُعب :

— لن يمكنني ذلك .. لن أستطيع .

وفجأة ، انطلقت من بين شفتيه صرخة رُعب هائلة ، فور
أن فتح الباب ، وتراجع صارخًا :

— كلاً .. كلاً ..

وفي بطاء ، غيّر ذلك الشيء البشع باب المنزل خلفه ..
كيان مرعب رهيب ، هو جزء من أشد بقاع الليل
سوادًا ..

كيان بلا ملامح ..

فقط كتلة سوداء رهبة ، ذات أطراف ضخمة قصيرة ،

وعينين في لون الدم ..

وبصوت أشبه بقبر يُفتح ، برزت في منتصف ذلك الكيان
البشع أنياب هائلة ..

وسقط الدكتور (عبد الجليل) أرضًا ، وهو يصرخ :

— كلاً .. ليس أنا .. ليس أنا .

وهتف الدكتور (حجازي) في رُعب :

— مستحيل !! إنه الجحيم !! الجحيم بعينه !!

أما (نور) ، فقد راح يردّد في عصبية :

— إنه وهم .. كل هذا مجرد وهم ..

ولكن ذلك الكيان البشع لم يكن وهمًا ..

وخاصة عندما مال نحو الدكتور (عبد الجليل) ، الذي

راح يصرخ في رُعب هائل ، و.....

والتهمة ..

نعم ..

ابتلعه دفعة واحدة ، وأغلق أنيابه خلفه ، وتلاشت صرخة

المسكين في جوف الكيان البشع ، وسمع (نور) والدكتور

(حجازي) في وضوح ، صوت عظامه تنهشم ، في أعماق

الكيان ..



مال نحو الدكتور (عبد الجليل) ، الذي راح
بصرخ في رُعب هائل ، و والتمهده

وانهار الدكتور (حجازي) ، وهو يردد :

— متحيل !! .. متحيل !!

أما (نور) ، فقد اتست عيناه في دُعر ، وهو يواصل
ترديده :

— هذا وهم .. وهم .

ولكن شيئاً ما في أعماقه صرخ :

— بل حقيقة .. حقيقة يا (نور) .

وهنا وجد نفسه يغمغم ، وهو يراقب اقتراب ذلك الكيان

البشع منه ، ومن الدكتور (حجازي) :

— إذن فهو حقيقة .

ثم انتزع مسدسه الليزري من حزامه ، وهو يصرخ بغته :

— والحقائق لا تواجهها سوى الحقائق ..

وأطلق أشعة المسدس الليزرية على الكيان البشع ..

انطلقت أشعة مسدس رجل أمن المستشفى نحو

(نشوى) ، ولكن الخيط الليزري القاتل لم يصبها ..

ليس لأن رجل الأمن لا يجيد التصويب ..

وليس لأنه كان مرتبكاً ..

ولكن لأن (نشوى) نفسها ، لم تكن حيث هبطت أشعة
الليزر ..

لقد قفزت بسرعة مذهلة جانباً ، وتفادت الأشعة القاتلة
على نحو شيطاني مخيف ، ثم اندفعت نحو رجل الأمن ، الذي
تراجع في دُھول ، وانزعجت مسدسه الليزري من قبضته ، ثم
اعتصرته بقبضتها ..

واتسعت عينا رجل الأمن في رُعب ودُھول ، وهو يرى
مسدسه يتحول إلى كتلة غير واضحة المعالم ، من المعدن
المحطم ، في قبضة (نشوى) ، التي زحزحت في وجهه في
شراسة ووحشية ، ثم ضمت قبضتها ، ورفعتها لتهوى بها على
فكّه ..

وأغلق رجل الأمن أسنانه في رُعب ، وهو يتوقع أن تقتله
اللكمة ، من تلك القبضة ، التي حطمت مسدساً قوياً
باعتصارة واحدة ..

ولكن القبضة لم تسقط على فكّه أبداً ..

لقد تراخت بفتة ، وسقطت إلى جوار (نشوى) ، التي
تلاشت الشراسة منها دفعة واحدة ، وهي تقول في ألم :
— صداع رهيب .. رهيب ..

ثم سقطت فجأة ، بين ذراعى رجل الأمن ، فاقدة
الوعي ..

ومضت لحظات توقف فيها الزمن ، ورجل الأمن يحدّق في
تلك الفتاة ، الفاقدة الوعي بين ذراعيه ، في دُھول ، قبل أن
يهتف فجأة :

— النجدة !! هناك أمر غريب هنا ..

وعاد يحدّق فيها ، قبل أن يستطرد :

— أمر شيطاني ..

أصاب أشعة مسدس (نور) الليزري ذلك الكيان
البشع ، بين عينيه تماماً ، والدكتور (حجازي) يصرخ :

— لا فائدة .. لا فائدة ..

ولكن الكيان الأسود البشع توقف بفتة ، وارتج في قوة ،
ثم تدفقت من بين عينيه حُمم ملتبة ، ثقت أرض المنزل إلى
عمق كبير ..

وهوى الكيان ..

هوى صريفاً ..

وأمام عيون الدكتور (حجازي) و (نور) ، راح الكيان
البشع يتلاشى ويذوب في سرعة ، كما لو أنه كان يتكوّن كله من
تلك الحُمم ..

وأخيراً تلاشي كله ..

لم يقد باقيا منه سوى كرة صغيرة ، في حجم قبضة اليد ، في
فراء عجيب ، أو مادة أشبه بالفراء ..

وهتف الدكتور (حجازي) في انفعال :

— يا إلهي !!! لقد نجحت يا (نور) .. لقد نجحت ..

أشار (نور) إلى الكيان ، مغمغماً :

— أظن ذلك الشيء هو المسئول عن كل ما حدث ؟

هتف الدكتور (حجازي) :

— بالتأكيد .. إنني لم أر ما هو أبشع منه ..

هز (نور) رأسه نفياً ، وقال :

— كلاً .. من المستحيل أن ينتهي ما فعل كل هذا ، بمثل

هذه البساطة ..

والتفت إلى الدكتور (حجازي) ، مستطرداً في حزم :

— هذا الشيء مجرد تابع لما نحاربه ، أو لمن نحاربه يا سيدي ..

حدق الدكتور (حجازي) في بقايا ذلك الشيء البشع ،

وهو يغمغم :

— يا إلهي !

لم يكده يتم عبارته ، حتى عادت جدران المنزل ترتج في

قوة ، فالتصق بالخائط ، هاتفاً :

— لا .. ليس مرة ثانية .. ليس مرة ثانية ..

وفجأة ، انشق الخائط من خلفه ، وفقد توازنه ، ووجد

نفسه يهوى في هوة عميقة ، فصرخ في رُعب :

— النجدة يا (نور) !!

قفز (نور) نحوه ، وأمسك معصمه في سرعة ، ولكن

الدكتور (حجازي) كان ممتلئ الجسم ، يفوق (نور) وزناً ،

لذا بدلاً من أن ينقذه (نور) ، جذبته هو معه ، وسقط

الاثنان في الهوة ..

ومرة أخرى انتصر الشيطان ..

وانتصر ابنه ..

ابن إبليس ..



١١ - انتصار الشيطان ..

اعتدل رئيس قسم الطوارئ ، في مستشفى (القاهرة) المركزي ، بعد أن انتهى من فحص (نشوى) ، التي سقطت في غيبوبة عميقة ، وتطلع إليها في دهشة بالغة ، ثم هز رأسه في خيرة ، مغفمًا :

— عجبًا !! لقد بذلت تلك الفتاة الرقيقة الهشة ، التي يبلغ وزنها خمسة وخمسين كيلوجرامًا ، مجهودًا رهيبًا ، يفوق مجهود فرقة انتحارية كاملة ، وأبدت قوة مخيفة ، تتفوق بها على أبطال الألعاب الأولمبية ، ثم فجأة انهارت تمامًا ، حتى باتت عاجزة عن فتح عينيها ، وكل هذا في أقل من نصف الساعة .
غمغم طبيب شاب :

— ربما تناولت بعض المنشطات يا سيدي .

التفت إليه رئيس القسم ، وهو يقول :

— منشطات ؟!.. أخبرني بالله عليك يا فتى ، أى نوع هذا من المنشطات ، الذى يجعل فتاة رقيقة قادرة على تحطيم مسدس ليزرى قوى ، بضغطة واحدة من قبضتها .

هز الطبيب الشاب كفيه ، وقال :

— لا يوجد أى منشط معروف بهذه القوة بالطبع ، ولكننا

لم نر ما حدث .

صاح به رجل الأمن في خشونة وجدة :

— ماذا تعنى ؟

لوح الطبيب الشاب بكفه ، قائلاً :

— لست أعنى شيئًا .

قال رئيس القسم في حزم :

— ولا يمكنك أن تعنى شيئًا ، قبل أن نحصل على نتائج

تحليل الدم .

وأشار إلى (نشوى) ، مستطردًا :

— نأخذ عينة من دمها على الفور ، واطلب من الكمبيوتر

سرعة تحليلها ، ووافنى بالنتائج على الفور .

انحنى الطبيب الشاب ، وراح يحصل على عينة الدم من

عروق (نشوى) ، وهو يغغم :

— لن يستغرق ذلك سوى دقيقة واحدة ، باستخدام

كمبيوتر التحليلات الخاص .

حمل العينة داخل محقنه ، ووضعها داخل جهاز الكمبيوتر

الصغير ، وضغط أزراره في سرعة ، ومضت لحظات من الصمت ، قبل أن تبرز على شاشة الكمبيوتر عبارة مخيفة :

— عامل مجهول .. لا يشبه أيًا من العوامل المعروفة .. نسبة الشوائب ستون في المائة .

اثبتت عينا رئيس القسم في دُهول ، وهو هتف :

— ستون في المائة ؟!.. يا إلهي !!.. يالها من نسبة !!..

وأيضًا عامل مجهول ؟!

ثم التفت إلى (نشوى) ، واستطرد في انفعال :

— كنت واثقًا من ذلك .. كنت واثقًا منه ..

ورفع عينه إلى رجل الأمن ، مردفًا في قوة :

— هذه الحالة لا شيء لها .. لا شيء لها فقط ..

لم تكن تلك الهوة عميقة ، كما توقع (نور) والدكتور (حجازي) ..

كانت مجرد حفرة عمقها متر واحد ..

وعندما ارتطم الاثنان بالأرض ، أجمعهما الدُهول ..

لقد رأيا نفسيهما داخل كهف ضخم ، يمتد أمامهما إلى

ما لا نهاية ..

وهتف الدكتور (حجازي) ، وهو يتزع نفسه من دُهوله :

— مستحيل !!

ثم التفت إلى (نور) ، مستطردًا في توثر :

— أهو هنا منذ شئدت منزلك يا (نور) ؟

هتف (نور) ، وهو يتطلع إلى الكهف :

— مستحيل !!.. لو أنه هنا لراه من حفر أساسات المنزل ..

سأله الدكتور (حجازي) في خوف :

— إلى أين يمتد ؟

هَبَّ (نور) واقفًا ، وهو يقول :

— لو أنني في موضعك ، ما حاولت البحث عن الجواب ..

قال الدكتور (حجازي) في حزم :

— أنت في موضعى بالفعل ..

قال (نور) في جدّة :

— إذن دعنا نعدّ معا ..

استدار ليعودا إلى ذلك الشق في الحائط ، ولكن (نور)

هتف في دهشة :

— يا إلهي !!.. إننا لم نسقط بعيدًا إلى هذا الحد ..

كان الأمر يدعو للدهشة بالفعل ، فخلفهما كان يمتد
كهف آخر ، لمسافة مائة متر على الأقل ، وفي نهاية ذلك
الشق ..

ودون أن يُضَيِّع وقتا ، في محاولة فهم الأمور وَمَنْطَقَتِهَا ،
هتف (نور) في حزم :

— هيا يا دكتور (حجازى) .. سنعود من حيث أتينا .
انطلقا يَغْدِرَانِ غُبْرَ الكهف ، نحو الشق ، وعندما
أصبحت المسافة التى تفصلهما عنه عشرة أمتار تقريبا ، بدأ
الشق يلتحم فى ببطء ، فهتف (نور) :

— أسرع يا سيدى .. أسرع وإلا بقينا هنا إلى الأبد .
زادا من سرعتيهما ، ولكن الشق راح يلتحم فى سرعة
أكبر .. وأكبر .. وأكبر ..
وفجأة ، التحم تماما ..

وتسمر الدكتور (حجازى) و (نور) فى مكانيهما ،
وأحاط بهما الظلام ، قبل أن يصرخ الدكتور (حجازى) فى
انهايار :

— لقد انتهينا يا (نور) .. لقد ضيغنا .



زادا من سرعتيهما ، ولكن الشق راح يلتحم فى سرعة أكبر .. وأكبر

حاول (نور) أن يقاوم حالة اليأس ، التي أنشبت مخالبها في قلبه ، إلا أنه لم يلبث أن استسلم لها ، وهو يغمغم :
— نعم يا دكتور (حجازي) .. لقد ضيقنا .

برقت عينا الشيطان الصغير في ظفر ، والتهبتا بنيران القوز ، وهو يسترخي في مقعده ، فهتف (صفوت) :
— لقد انتصرنا يا سيدي .. أليس كذلك ؟

لم يجب (بعزبول الصغير) ، وإن شَفَّ لُيب عينيه عن الإيجاب ، قبل أن يقول :

— هل تعلم أيها البشري ؟ .. لقد كان جدُّ هذا الرائد من أشرس وأقوى خصومي ، عبَّر تاريخكم البشري .. إنه الوحيد الذي كشف نقطة ضعفي ، وقتلني .

اتسعت عينا (صفوت) ، وهو يغمغم في دُغر :
— قتلك !؟

برقت عينا الشيطان الابن ، وهو يقول في شراسة :
— هذا يعني أنه قد أجبرني على الذهاب إلى حيث أرى ، ولمدة طويلة ، استغرقت سبعين عامًا من زمنكم .
وضمَّ قبضته في غضب ، وهو يستطرد :

— وفي كل ثانية منها ، كنت أحلم بالعودة ، والانتقام .
تردد (صفوت) لحظة ، قبل أن يسأله :

— ولكن يا سيدي ، لماذا تبدو لي بشريًا مثلنا ؟
أجابه في صوت هادر :

— لأنني نصف بشري .. أنتم تروني بشريًا ، وقوم أبي يروني على هيتهم .. كتلة من النار .

هتف (صفوت) في رُعب :
— النار ؟

أجابه (ابن الشيطان) في سُخرية :

— نعم أيها البشري الأحق .. إن نصفى من نار .
ثم نهض ، هاتفا في قوَّة :

— ولقد انتصر هذا النصف .
غمغم (صفوت) :

— إذن فقد انتصرنا يا سيدي .

لوح (ابن الشيطان) بكفه ، وهو يهتف في زهو :
— ماذا تسمي هذا إذن ؟

وعادت عيناه تبرقان في ظفر ، وهو يستطرد :

— ذلك الرائد ، حفيد (أوزيريس) ، مع زميله ، داخل
كهف من كهوف العديدة ، تحت سطح الأرض ، لا يجدان لهما
مخرجًا ، وابنته ، آخر من يحمل دم (أوزيريس) ، تلوث دمها
بدمي ، فصارت تحمل جزءًا مني ، وروحًا من قوم أبي ،
ولا يملك دفع ذلك عنها سوى ، وسوى ترياق الخاص ، ماذا
تسمى هذا إذن ، لو لم يكن انتصارًا ؟ .

وانطلقت من حنجرتي النارية ضحكة شيطانية مخيفة ، قبل
أن يستطرد بعينين متوهجتين :

— انتصارًا ساحقًا .

غمغم (صفوت) في هيئة وخوف :

— سيدي .. تقبل تهنأتي ، و

قاطعه في صرامة مخيفة :

— ليس الآن .

وازدادت عيناه توهجًا ، وهو يستطرد :

— عندما ينتهي الأمر تمامًا ، وأحوز السيطرة الكاملة على

هذا العالم .

هتف (صفوت) في لهفة :

— متى يا سيدي ؟ .. متى ؟

ابتسم (ابن الشيطان) ابتسامة أشبه بالموت ، وهو
يقول :

— قريبًا أيها البشري .. قريبًا جدًا .

وأطلق الشيطان الأكبر ضحكة ظافرة ..

لقد لاح له النصر ..

النصر التام ..

(انتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثاني)

[مبعوث الجحيم]

مؤلف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الشمال العلم

المؤلف



د. نيل فاروق

ابن الشيطان

● ماذا تقول الأساطير القديمة، عن (ابن الشيطان)؟

● من هو (بعلزبول)، و (لوسيفر)؟..

● ثرى.. لمن يكون النصر هذه المرة، والصراع

يدور بين (نور) البشرى، ونصف شيطان؟

● اقرأ التفاصيل المثيرة، وقابل مع (نور)، من أجل البشرية كلها هذه المرة.



الطبعة الأولى
المؤسسة العربية للدراسات
للطباعة والنشر والتوزيع
بغداد - العراق - ١٩٨٠

العدد القادم : مبعوث الجحيم